تاءِ.. وأخواتها

مجموعة قصصية

ريم أبو الفضل

أبو الفضل، ريم

تاء.. وأخواتها/ ريم أبو الفضل.

القاهرة: روافد للنشر والتوزيع، ط1 / 2016.

140 ص ؛ 21 سم

1- قصص

2- العنوان

أ. المؤلف

رقم التصنيف: 813،01

رقم الإيداع: 608/ 2016

ISBN: 978 - 977 - 751 - 206 - 0

جميع الحقوق محفوظة للناشر

روافد للنشر والتوزيع

القاهرة – ج م ع

+2 0122-2235071

rwafead@gmail.com

www.rwafead.com

تصميم الغلاف:

إهداء

إلى تاء التأنيث..

ونون النسوة..

إلى هاء الغائب الذي لم يعد..

وألف الاثنين حين يتاجيان دونها..

إلى واو الجماعة التي تقسو..

وباقي الأحرف عندما تصمت ساكنة..

تقاطعات اللغة والواقع الكافكاوي في "تاء وأخواتها"

د. حسام عقل

تستعيد لنا القاصة (ريم أبو الفضل)، بمجموعتها القصصية الجديدة: (تاء و أخواتها)، جزءا عضويًا من محن المرأة المعاصرة وانشغالاتها _حضاريا_ في مهب الألفية الميلادية الثالثة، وتحتفظ ضفيرة المحن والانشغالات المستنفرة قصصيا بسيمائها المصري العربي، وخصوصيتها النافذة على المستويين الإنساني والفني . وتمثل البنية السردية لدى القاصة، نقطة التقاء شديدة الألق، تتقاطع عندها إمكانات اللغة في أبعادها الأسلوبية الغائرة، مفردة ومعجما واشتقاقا وأنساقا تركيبية، وإمكانات الواقع بأزماته المشتعلة وصراعاته الدرامية وحفوله بالمضامين الذكورية المتحيفة، التي فضحتها كاميرا الراوي بنقمة وترقب!

أجرى الراوي في عوالمه القصصية المنحوتة، تضفيرا بنيويا بين متن الألفبائية (بحروفها المعروفة)، ومتن (الواقع) بصراعاته اللاهبة، ليصبح هذا الواقع معادلا لفضاء الألفبائية، وتصبح الأبجدية الألفبائية -بدورها- معادلا لهذا الواقع بخصوصيته وترتيبه الهرمي القائم طبقيا على فكرة

(الأدنى و الأعلى)! وكان طبيعيا، في ضوء هذه المعادلة والمماهاة ، أن تكون صراعات الشخوص، أو الشخصية النسوية تحديدا، تجليا نظيرا لصراعات (تاء التأنيث) ، في فضاء الضمائر اللغوية، طلبا للتحرر والإفلات من ربقة السيطرة، ومن ثم كانت العوالم القصصية وإيحاءات العنوان الكبير ، قائمة _ في الجوهر _ على النسق الرمزي بمراوغاته وشكاسه، إذ يشف ويحيل آنا، أو يصرح و يجسم حرفيا آنا آخر، دون أن يفقد صلاته الواشجة بأزمات المرأة المصرية في حاضنة (ذكورية) مهيمنة في كل الأحوال!

كان طبيعيا، بالقدر ذاته، أن تستهل القاصة عبارات الإهداء بالتذكير بالبنية الطبقية لضمائر اللغة، بوصفها توطئة لهواجس المجموعة وانشغالاتها ذات المنحى الطبقي الشبيه ، ومن ثم كان إهداء النص إلى (تاء التأنيث) و(نون النسوة) و(هاء الغائب الذي لم يعد) ، تذكيرا ضروريا في عتبة الاستهلال، بشبكات الضمائر ومرجعياتها اللغوية، الذي يذكر بدوره بمنطق الاستدعاء وتداعي المعاني، بكينونة الأنثى في مجتمع (ذكوري)، مهما تكن أقنعته المموهة!

برعت القاصة في توظيف الحوار المقتضب والمناوبة الجيدة بين مقاطع السرد والحوار في المجمل وجاءت نهاياتها في إطار ما يسميه (روبرت ياوس): (كسر أفق التوقع) ، بالمفاجأة الهازة الداعية إلى التأمل، وبرغم أن عناوين المجموعة يحمل

بعضها نفسا كلاسيكيا واضحا، من مثل (ذاكرة سيئة السمعة) أو (.. ودارت الأيام)، أو (الموت من أجل الحياة)، فإن القاصة اجتهدت، بجهد فني ملحوظ، في تغذية الأنساق السردية بالنفس الحداثي المتصل، والإحالة المستمرة لقضية العلاقات الإنسانية في زمن التقنية المعاصرة والعولمة والمجتمع الرقمي الجديد، وهو ما يتجلى على نحو نموذجي في قصة: (الرجل ذو الأزرار)، حيث جرى توظيف الراوي بضمير الغائب، وانجذبت العوالم القصصية، في المجمل، لثنائية الفوضى والنظام، وتحاول الزوجة -طول الوقت- التمرد على ما أسماه الراوي: (النمطية التي تقتل الروح ..)، أو (حياة الأزرار) المهيمنة على الرؤوس، مع استمرار التركيز وإراقة الضوء على (زر الخصوبة)- استمرارا لأزمة العقم الآخذة بخناق الشخوص!

ولم تخل العوالم القصصية من موجات النوستالجيا الحادة التي تستعيد جذوة الأيام الخوالي، كما في قصة: (كرسي هزاز)، كما لم تخل العوالم المستدعاة من إحالة إلى قضية (العدالة الاجتماعية) ، بتجلياتها النافذة،كما في قصة: (شهد الفقراء) ويتألق النسق الرمزي، في أسعد تجلياته وأقواها، في قصة: (تاء وأخواتها) حيث تتغول (واو الجماعة) بقسوة ضارية للفظ (تاء التأنيث) وإقصائها طول الوقت، على نحو يتخلق معه صراع الحضارة والحياة. ويتألق النسق الرمزي نفسه، بصورة أقل كثافة، في قصة (جثمان نملة) حيث يترسخ التماهي بين عوالم البشر والنمل. وقد يكون ثمة هنات لغوية

أو فنية عارضة في هذا المقطع أو ذاك، غير أن هذا لا يمنع البتة من القول إن (ريم) قد خطت بالفعل خطوة وثابة ملحوظة شديدة الاتساع في مشروعها القصصي الزاخر بالوعود.

د.حسام عقل

أستاذ الأدب والنقد بكلية التربية

"جامعة عين شمس"

تحت الصفر

أخيرًا....وصلتُ لباب البناية، ثم عاودتُ أول الشارع لأشتري علبة السجائر.

ناديتُ الحارس؛ ليحمل عني ما ابتعته من السوق.. لم يكن موجودًا.

تذكرتُ ماطلبه الأولاد من المكتبة كان عليّ أن أصعد ستة أدوار بتلك الأحمال، أو أسير بها شارعين.

وصلتُ إلي المكتبة، ومررتُ على البقال والمغسلة، فتضاعفتْ أحمالي.

تذكرتُ أنني نسيت شراء كبدة للعشاء ولب وسوادني؛ لكنني لم أستطع حمل جرامٍ واحد.

صعدتُ الدرج، وأنا ألتقط أنفاسي بالكاد..طرقتُ الباب..قرعتُ الجرس.

لم يفتح أحد...بعد عشر دقائق بحثًا عن المفتاح دخلت، فوجدت ثلاثتهم ممددين على الكنبة والفوتيه.

ألقيت بأحمالي على الأرض.

– ألم تسمعوا الجرس؟

– لاااا..مشهد مهم جدًا في الفيلم.

دخلتُ المطبخ أضع أحمالي قبل أن أبدّل ملابسي.. ناداني كبيرهم:

الله يخليكِ.. "اعملي لنا تلاتة ليمون لغاية ما الغدا يجهز إلا الحر فرهدنا"

أخذت نفسًا عمييييقًا...

حاولتُ ابتلاع تلك الغصة التي باتت كتفاحة آدم في حلقي وفشلت.

*****

ارتفعت حرارتي مع ضغط دمي.

فتحتُ الفريزر أخرجت الثلج لعمل الليمون..تصاعد البخار البارد فتنفسته بعمقٍ؛ ليخمد حرارتي.

وضعت أمامهم أكواب الليمون المثلج..لتُلطف من أجواء الفيلم الحار.

سألني زوجي:

– أحضرتِ السجاير؟

– نعم

– وملابسي من المغسلة؟

– نعم

– "أوعي تكوني نسيتي الكيوي لرامي"؟

– لم أنس

– والبطاطا لماجد؟

– أحضرتها؟

– شويتيها؟

– ابتلعتُ غصتي... لم أبّدل ملابسي على فكرة.

– "علشان تلحق تتشوي ونأكلها بعد الغدا".

– دخلت المطبخ سكبتُ على رأسي زجاجة ماء بارد.

سمعته بالخارج..

– أوعى تكوني نسيتي اللب والسوداني علشان السهرة!

– أفرغت زجاجة أخرى في فمي.

– نبيلة: "ما تنسيش تتبلي الكبدة"

لم أرد.. ذهبتُ لأبدل ملابسي...جهزت طاولة الطعام..دعوتُ شهريار وولديه للطعام.

– محشي؟ فراخ؟ أخيرااا

– "طبعا عملتيه امبارح..مش ممكن يكون دلوقت..توب علينا يا رب من الأكل البايت"

– على فكرة انتهيت من طهوه فجرًا..مازال دافئًا.

تأفف..ومثله فعل ولداه.

تناولوا نصف الطنجرة..في ادعاء أن الحر قد أغلق شهيتهم.

لم أستطع تناول غير قطعة صغيرة من الدجاج، فقد أغلق التعب فمي قبل شهيتي.

*****

ذهب للقيلولة، أو بالأحرى غيبوبة تمتد لأربع ساعات.

خلالهم ذاكرتُ للأولاد وانتهيتُ من ترتيب المطبخ، وغسيل الأطباق، وضعتُ الغسيل في الغسالة، وطويتُ الآخر.

أعددتُ الآيس الكريم البيتي الذي لا يرضى عنه بديلا..قشرتُ الفاكهة وقطعّتها.

تهاويت على مقعدي الذي أفتقده سبعة أيام في الأسبوع.

لم تمر خمس دقائق حتى دارت الطاحونة مرة أخرى.

" شيفت" المساء قد بدأ..

استيقظ "شهريار" طالبًا الشاي بالنعناع، وعلبة السجائر.

ذهبت بهما إليه، بينما كان ممدًدا في فراشه يتقلب إثر وجع جانبيه من كثرة النوم.

في نعومة أعرفها جيدًا..

-"تعالي جنبي شوية..عاوز أدردش معاكِ"

تنهدتُ...ووجدتها فرصة لاستلقي على فراشي بعد جفائه لي لأكثر من عشرين ساعة.

ناداني رامي يسألني مراجعة الواجب الذي انتهى منه.

زفر "شهريار" معاتبًا:

لم تنتهِ من متابعتك لهما بعد.. طول الوقت بتعملي إيه؟

شويتي البطاطا؟

لم أرد..

نهضتُ في اتجاهي للمطبخ..وسكبتُ زجاجة مياه مُثلجة على رأسي.

*****

الخميس يوم سهرة العائلة

قد يروق لهم فيلم فيشاهدونه جميعًا، أو يذهب الولدان لحجرتهما أمام الحاسوب.

شويتُ البطاطا..أعددت سندوتشات سجق بدلا من الكبدة.

زّفر شهريار..وأعطاني "دشًا" للتغلب على نسياني وهذياني.

كان فيلمًا رومانسيًا..ظل يتكلم..لم أسمعه..كلامه لن يخرج عن إرشادات، كنت أتابع الفيلم، وأهز له رأسي بالإيجاب.

تمنيت أن أكون مثل البطلة يدللها حبيبها..

شردتُ مع الفيلم، وأنا أرى نفسي في أحضان البطل..ابتسم لكلماته، وأنتشي لقبلاته.

طلب مني إعداد فيشار في الفاصل الإعلاني بدلا من اللب والسوداني اللذين نسيتهما بإهمالي.

دخلتُ المطبخ لم أجد زجاجات مياه مثلجة أخرى..

وأنا أسمع طرقعة الفيشار حين ترتفع الحرارة خطرت ببالي فكرة عزمتُ على تنفيذها.

*****

انتهى الفيلم..

كجثةٍ على الفراش مُلقاة كنتُ..حاول أن يبث فيها الروح... أبدًا لم تستجب.

لم يفلح معها ترغيب ولا ترهيب.

تقلب يسرة..

غمغم بكلمات كثيرة لم أسمع منها إلا..... باردة

رحتُ في سبات عميق..

في بيتنا يُطبق مثل اللي "ما قدمش الخميس ما يلاقيش الجمعة"

تعوّدتُ نكد الجمعة..لأنني ست باردة..

وقد يطول الولدان نصيبًا منه لأنهما أولاد الباردة.

وقد أحرم من زيارة أمي المريضة لأنها أم الباردة

وقد تكون سهرة الجمعة في تعدد محاسن زميلاتي أو قريباتي غيظًا في لأنهن معارف الباردة.

نفذّتُ ما عزمت عليه...اشتريت بكل مبلغ الجمعية "ثلاجة مكتب".

أخرجت أرففها.... كان حجمها يناسب مقاسي.

جلست بداخلها القرفصاء...استغنيت عن زجاجات الماء المثلجة.

أصبحت أدخل الثلاجة خمس دقائق كل حين وربما أكثر..

كلما ارتفعت حرارتي... أجلس بداخلها القرفصاء، وأخرج وأنا أكثر تحكمًا في أعصابي.

لديّ طاقة حرارية..لديّ رغبة..لديّ حاجات أخرى..

كنت أفرغهم جميعًا داخل ثلاجتي.

*****

زارتني نورا زميلتي في يوم النكد، وطالت زيارتها وأعجب زوجي بآرائها وفكرها المتحيز مؤيدًا لها في كل حرف تقوله.

رآها مثقفة جميلة مفوهة..طلّقها زوجها "الحمار" لأنه لا يستحقها.

تكررت زياراتها، وأنا ألمح إعجاب كليهما بالآخر.

ولسان حالي يقول..

"اللي خدته القرعة تاخده أم الشعور"

انتبه أولادي إلى تلك الثلاجة الفارغة.. بالطبع لم يلق لها شهريار بالًا فقد كان المطبخ قدسًا لا يدخله حتى من أجل كوب ماء.

ظن زوجي أن اقترابه من زميلتي سيحفزني لذبح القرابين تحت قدميه، لم يكن لدى ما أذبحه..فقد نفذت ذبائحي.

أصبح أكثر قربًا من نورا...وأصبحتُ أكثر قربًا من الثلاجة.

أقبع بداخلها بعد...

شيفت الظهيرة، والمساء، وقبل النوم، وحتى بعد فيلم رومانسي.

سخر زوجي من الثلاجة حين أبلغه أولادي بأنهم رأوني بداخلها هروبًا من حرارة الجو

أجابهم بصوت يُسمعني

ثلاجة؟ هي ناقصة؟؟؟

*****

ذات خميس... طلبها منى دون تودد.

شعرتُ وكأنني جارية... كنت مرهقة حد الإعياء.
اعتذرت..أهانني واتهمني بالبرود كالعادة.
صمتُ....أمعن في إهانتي.
توجهتُ للثلاجة..أحضرتُ مكعبات الثلج، وألقيتها فوق رأسه
انتفض من فراشه.. صفعني..
انتفضتُ من غيوبتي.. طلبت الطلاق..
انتظرت حتى انتهى الأولاد من امتحاناتهم.
لملمتُ متاعي، وشحنت ثلاجتي، ورحلت لبيت أمي، وتركتُ لولديَّ الخيار فكانا بين بيت أمي
وبيت والدهما طيلة فترة الإجازة.

*****

تباعدت علاقتي بنورا، وكان يبدو أنها كلما ازدادت قربًا منه ازدادت بعدًا عني.
أعرف نورا جيدا...نقيضي تمامًا.
لا يمكن أن تتنازل عن حقها..تعتز بجنسها حد عداء الجنس الآخر.
ربما خدعها بموافقته على آرائها..وغرّه اختلافها عني.
بعد شهر عرفت بزواجهما.
لم أنزعج...
فقد كنتُ أستعيد نفسي، وحياتي، وصحتي، وراتبي.

فقط... كانت تراودني أسئلة.

هل ستحضر نورا كل يوم علبة سجائر، وتذهب للسوق، وللبقال، والجزار، والمغسلة؟

هل ستطهو محشي، وتعد الأيس كريم، والشاي، والقهوة، وتقشر الفاكهة؟

هل ستدفع فواتير التليفون، وتحضر السباك، وتزرع أعواد النعناع ؟

هل سيخضع لنورا، ويعاونها في أعمال المنزل،ويساهم في أي شيء؟

*****

كان الولدان أحيانا يخبراني بمشادات بين والدهما ونورا..

لم يكن يهمني معرفة مايدور..

فقط كنت أتساءل أيهما سيخضع للآخر؟

بعد شهرين جاء رامي من زيارته لوالده، ليخبرني أنه شاهد في المطبخ ثلاجة تشبه ثلاجتي وقد نُزعت أرففها..

تُرى من فيهما يجلس بداخلها القرفصاء؟

كامل الأوصاف

نظرتُ من شرفتي أرقب تلك الزاوية التي تحوى مقامًا يرتاده السائلون والناسكون، وعدتُ بذاكرتي عشرين عامًا إلى الوراء..وأنا أتذكر حديث أهل الحارة عن هذا الرجل الذي أتى إلينا دون أسرة، ولا زوجة...

فكل أهل حارتنا القديمة يعرفون بعضهم بعضًا، وأغلبهم زوّجوا أبناءهم وأحفادهم فيها.

اكتسب عم كامل حب وثقة أهل الحارة لكرمه معهم، وخاصة مع أبنائهم.

لا مانع من الشكك..فلم يكن عم كامل يطالب أهل الحارة بالحساب القديم كما يفعل الآخرون.

وتغيّر عُرف أهل حارتي بقدوم عم كامل، فلم تعد قيمة الشخص بمدى مكوثه، أو سلساله الممتد فيها.

في هذا المكان..تحت شرفتي كنا نلعب صبيةً وبنات..نذهب إلى دكانه فنشتري بعض الحلويات فيزيد عليها من عنده دون مقابل، ويهدى حسن وأحمد وعادل ويوسف وآخرين أنواعًا أخرى

تمنيتُ أن أكون ولدًا لأحظى بما يحظون به.

كان حسن يقتسم معي حلواه، وقد يعطيني إياها كاملة فأقبلها منه في خجل، ثم أصبحت لي بعد ذلك حقًا، وأصبح الحزن المرتسم على وجهه نصيبًا.

*****

كنت أخشى في وقت لعبنا أن ينادى على حسن، فيغيب عنى نصف ساعة رغم أنه كان يعود لي محملًا بالحلوى، ولكن لذلك الشرود الذي يعود به، فينظر لي معتذرًا عن عدم إكمال اللعب معي..ثم أجد في الحلوى عوضًا عن غيابه.

لم نكن ننتبه في البداية عندما كان يتغيب عنا فرد في اللعب لنصف ساعة أو أقل أو أكثر عند "عم كامل"..

يختفيان بالداخل.. قد يغلق خلالها عم كامل إحدى ضلفتي الدكان بحجة الصلاة، أو ترتيب بعض الأرفف.

ويخرجون كلهم من عند عم كامل مُحملين بكثير من الحلوى، لكنهم يعتذرون عن إكمال اللعب،أو يتغيبون بلا عذر..ربما لكيّ لا نشاركهم في التهامها.

خرج أحمد واجمًا، وحسن مصفر الوجه، وخرج عادل مهرولًا إلى بيته يغلق زر بنطاله، بينما خرج يوسف باكيًا، ولم يخبرنا هل ضربه ذاك الرجل الكريم؟

*****

منعتني أمي من نزول الحارة لألعب مع الأولاد، فقد رأت أنني كبرت على ذلك، وبدأت في شراء أكوامٍ من قمصان النوم والقماش وأطقم السرير من "أم نورا" الدلالة، ومثلها فعلن نساء الحارة مع بناتهن.

تداول صبية الحارة نفس المكان..حيث كنت أرقبهم من شرفتي، كلما شبّت مجموعة عن الطوق حلت محلها أخرى، يحظى الأولاد منهم بمزيد من الحلوى.

انقطعت حلوى حسن ثم انقطعت لقاءاتنا، وانقطعت خطاباته التي كان يدسها في يدي خفية عن أعينهم، لم أعد أراه كثيرا حتى في ذهابي للمدرسة كما كنا نفعل..لا أعرف لماذا أصبح خجولًا منطويًا...كسيرًا!

*****

بنى عم كامل زاوية يصلي فيها أهل الحارة فازداد في أعينهم تقديرًا، ثم أتى بمُبرد مياه كان حديث الحارة، وتنازل مرارًا عن ديون هذا وذاك... فكانوا يتحدثون عن كرمه وأخلاقه.

ضرب أحدهم ابنه حين قال: عم كامل "راجل وحش"

صاح فيه:

"يا ابن الكلب عم كامل خيره على أبوك وعلى أهل الحارة "

*****

تخرّج حسن من المعهد، ولم يتقدم لخطبتي، وتخرج عادل ولم يتزوج حبيبته، ولم يكمل يوسف دراسته، ولم يتمم وعده لأمل.

انتظرناهم جميعا..ولم يأتوا.

انقطع عني حسن تمامًا...

سافر عليّ...

هاجر عادل دون أن يوّدع ماريان...

أطلق أحمد لحيته وانعزل عن الجميع..

ولم يكمل يوسف دراسته، وترك الحارة إلى غير رجعة.

ممن يتزوجن بنات الحارة إلا من أبنائها ؟

خلتْ الحارة من شبابها وكثرتْ عوانسها..وانقطعت أم نورا عن القدوم لحارتنا فقد أصبح لدينا "شوارًا" يكفى لأن نعمل جميعنا دلالات.

أكتأبت هند..

وباعت كريمة جسدها لعجوز ثرى، ثم طُلقت وعادت دون أطفال..

أما أنا فمازلت أطل من شرفتي بعدما سئمت الوقوف على ناصية الحارة ألتفت يمنة ويسرة في انتظاره.

*****

مات عم كامل.... وحزنت الحارة كلها لرحيله.

حمل نعشه عشرة من عجائزها، فقد خلت الحارة من شبابها.

بنى أهل الحارة مقامًا لعم كامل ذلك الرجل الكريم الذي كان يتنازل عن ديونهم، ويغدق بحلواه على أبنائهم.

أصبحت الحارة عاقرًا، تخرج منها النعوش، ولا تحمل فيها البطون..انتظرت نسلًا لم يأت بعد،ولم يعد هناك أولاد يلعبون تحت شرفتي..

اقتصرتْ الحارة على..

عوانس يطلّلن من الشرفات..

ودراويش يرتادون المقام..

وشباب لم نرهم إلا شيبة.

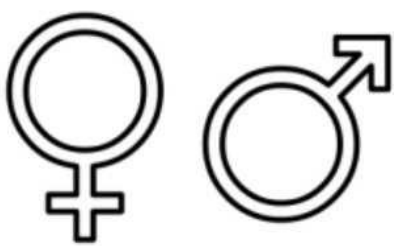

في حدةٍ...سألتُه زوجًا سليمًا غير مريض، يتمتع بصحةٍ أفضل، وعمر أطول.

خيّرني بين الأنواع السابقة التي امتلكتها قبل حين، وأضاف إليها جديدًا.

اقترح عليّ البائع هذه المرة زوجًا من السلاحف حيث إنها مُعمرة..بعدما شكوت له أن كل السابقين يضيقون ذرعًا ببعضهما.

وكالعادة أوصى البائع باقتنائي لذكر وأنثى، فهذا أنسب اجتماعيًا للحيوان، ويكون في حالة أسعد كما يمنحه عمرًا أطول؛ فامتثلتُ لرأيه.

عرّفني باختلافاتٍ شكلية للذكر عن الأنثى كما يفعل معي فيما اشتريه منه.

******

أطلقتُ على *الغيلم اسم "دبور" وعلى السلحفاة اسم "وردة"..

أعددتُ لهما عش الزوجية، وفرشته بما لذ وطاب من الأوراق الخضراء...وراقبتهما عن بعدٍ وكثب.

كانت "وردة" وديعة لا تقترب من الأوراق إلا بعدما ينتهي "دبور" الذي بدا قاسيًا متسلطًا.

لابد أن بينهما إشارة ونظرة تهابه فلا تقترب حتى يأذن لها..وربما كان يخصص لها نصيبًا محددًا من الطعام، أو يجور على نصيبها.

جار أخي على نصيبي من إرثِ أبى..وجار آخر على قلبي..وجار آخرون على حقي في الحياة.

هكذا هم جنس الذكور في سائرِ المخلوقات..

******

سَمِن "دبور" بينما ازدادت "وردة" نحولًا...عزمتُ على أن أكون أكثر إيجابية فأتدخل لأمنع ذاك الجور، وهذا الظلم.

قسّمتُ المكان بحاجز بينهما، وأعطيتُ "وردة" نصيبًا من الطعام يفوق "دبور" تحتاج هي كثيرًا من التغذية..كفاه حظًا يضاعف حظها لأنه الذكر.

تحتاج مزيدًا من الراحة..

أخرجت "دبور" للشرفة.. أليس هو الذكر فعليه أن يتحمل البرد، ولتنعم "وردة" بالهدوء والراحة بعيدًا عن "دبور" وإزعاجه.

تحتاج "وردة" لبعض التدليل كدشٍ دافئ...وليكن "دبور" خشنًا أليس هو الذكر؟

******

انتابت "وردة" فترةً حزن أثناء وجود "دبور" في الشرفة..فعافتْ الطعام.

ربما مال قلبه لسلحفاة أخرى لمحها في شرفة الجيران..وحزنت لذلك "وردة" ولم تتحمل خيانة حبيبها، وشريكها.

هكذا هم الذكور خائنون..

عاقبتُ "دبور"على خيانته فحرمته من الطعام، ومن الفراش الوثير، ومن الدش الدافئ.

زدتُ من رعايتي ل "وردة" حتى تجتاز أزمتها النفسية مع "دبور" بعد خيانته لها...أعلم تلك المرحلة التي تحتاج فيها الأنثى للدعم، ولاستعادة ثقتها بنفسها.

زاد "دبور" من عبثه حرًا طليقًا في الشرفة غير عابئ بعقابي له، مثله كسائر الذكور حين يتيه عشقًا بأخرى.

******

بعد أيام..

فتحتُ شرفتي فوجدت "دبور" مُلقًى على ظهره ميتًا..

حاله كحال الذكور حين ينتحرون بعد هجر عشيقاتهم، أو ربما كان عقاب إلهي له لهجره ل "وردة"

وضعت "دبور" أمام وردة حتى تعلم أن الله قد اقتص من خيانته لها...فانزوتْ في ركن وكأنها ارتعبت لمنظره.

لا عليك "وردة".. سأقيم ل"دبور" مراسم دفن من أجلك..

أخرجت "دبور" في صندوق بجانب كيس النفايات ليُدفن في المكان اللائق به.

****

بعد أيام أخرى....

فعلت "وردة" مثل كل الإناث حين يرحلن عنهن حبيبهن..

وجدتها ممددة على ظهرها..

رحلت "وردة" حزنًا وكمدًا على خيانة "دبور"

هكذا ترحل بعض الإناث الساذجة حزنًا على غدرٍ ورحيل ذكور خائنة.

لم أحزن على "وردة" فقد اختارت مصيرًا غبيًا..ولم أقم لها مراسم لدفنها؛ فألحقتها بذكرها الغادر بجوار كيس النفايات.

****

في يومي التالي...

مررتُ على محل بيع الحيوانات لاختيار زوج جديد ومختلف ربما يكون أكثر وفاءً لبعضهما من كل الأزواج السابقة..

ألقيت التحية...وقبل أن أحكي له قصة الرحيل المتكررة..

قاطعني البائع معتذرًا عن خطئه..

في أنه أعطاني زوجًا من.....إناث السلاحف.

الفيلم: ذكر السلحفاة*

مطلوب شراء بضع سنين

كان لقاؤنا بعد سنتين من الفراق كفيلًا بأن ينكأ الجراح.. وينّقب في نقوش الذاكرة عن أفراح..مخطئ من يظن أن نقوش الذاكرة لا تُمحى بل يطمسها حجم الألم...ويُمحيها الدمع التقت أعيننا، وكأن الزمن توقف عند تلك اللحظات ليعيد لنا شريط العمر.

لم يكن "سيد" ابن الجيران فقط، بل كان أول من تفتحت عليه عيني حين كنا أطفالًا.

،فاعتبرته أخي الثاني حين كان يدفع عنى أذى الصبية..واعتبرته أختي حين كان ينصحني فأنصت، واعتبرته أبى حين كان يأمر بعدم لعبي مع الأولاد فأطيعه..واعتبرته أمي حين كان يحنو علىّ؛ فتنحني له جوارحي.

أسرتي الصغيرة كانت مترابطة إلى حد ما إذا ما قارنتها بأسرة "سيد" الكبيرة التي انفرط عقدها مبكرًا حين تزوج والده دون أن يطلق والدته، وأصبح لا يزورهم إلا في الأعياد.

فسافر أشقاؤه، وتزوجت شقيقاته مبكرًا، ولا علاقة له بإخوته غير الأشقاء.

كبُر سيد في عيني قبل أن يكبر جسده حين كنت أراه يعمل، وهو لم يكمل العاشرة، وربما كان هذا سببًا رئيسيًا في تعثره في دراسته.

*****

وصلتُ للثانوية العامة بينما نجح في الإعدادية بعد رسوبه أكثر من مرة، وبإلحاح منى استكمل دراسته بالثانوي الفني.

حتى لا تزداد بيننا الفجوة، وقد كنت لا أتخيل غيره رفيقًا وزوجًا، التحقت بمعهد متوسط برغم مجموعي العالي.

كان عمل "سيد" سائقًا يُدر عليه دخلًا معقولًا ينفق منه على نفسه، ويدس في يد أمه جزءًا، ويدّخر الباقي.

توقفت أحلام"سيد" في التعليم عند حصوله على الدبلوم..ولم تتوقف تطلعاته الأخرى

فاشترى ميكروباص بالتقسيط، وتحسنت إلى حد ما أوضاعه المالية، حينها تقدم لخطبتي، فوجد من أمي مصمصة شفاهها، ومن أبى عبوسًا

قالها لي أبى

"يا بنتي على الأصل دوّر "

أما أمي فبرغم تواضع مستوانا، وعمل أبى الموظف البسيط إلا أن أنها تمّنت لي زوجًا موظفًا يحمل شهادة عالية.

حاول معهما "سيد" مرات، وحاولت أنا عشرات المرات.

توّسط الجيران والمعارف حتى وافق أبي على مضض، ولم ترض أمي عنى وعنه حتى موتها.

*****

تزوجنا في شقة صغيرة بالإيجار، كانت جنتي، وكنتُ حوريته، وكان مع "سيد" مفتاحها

ازدادت سعادتنا بقدوم طفلنا الأول والثاني، اشترى "سيد" الميكروباص الثاني فالثالث

تيسرت أحوالنا، انتقلنا إلى شقة أخرى.

ترك "سيد" عمله كسائق، وانتقل لفتح مكتب تأجير سيارات.

أصبح المكتب معرضًا لبيع السيارات بعد سنوات، وأصبح لدينا شابان وفتاة جميلة.

أخذتْ الأحلام التي لطالما همس كلانا بها للآخر في طريقها لكي تصبح واقعًا.

كنت أعذر "سيد" حين يتغيب عن البيت كثيرًا، بينما هو كان يعوّض ذلك أثناء مكوثه، وكنت أهيأ له دومًا جوًا هادئًا، وأكون له ظهيرًا في وقت الأزمات.

لم أكف عن عشقي له، وكيف ذلك وهو من اصطنعني لنفسه، فتوجته على قلبي.

*****

تسرّب الشيب لرؤوسنا ومازال قلبانا نابضين...ألا ما أجمل أن يشتعل رأسك شيبًا بجمر فؤادك.

اتسعت علاقة "سيد" واتسع بيتنا واتسعت فترة تغيبه عن البيت، ولاحظت بُعده عنى لأول مرة بعد أكثر من ثلاثين عامًا.

ربما لأنني أصبحت وحيدة بعد زواج أولادنا..وانشغالهم...فأصبح لدى فائض وقت أقضيه كله في انتظاره ؟

لم يرق لي النادي وروّاده..ولم أستطع الانخراط في جو الاجتماعيات السخيف الخاص بطبقة الأثرياء..فقط كانت صديقتي الوحيدة من أيام الشباب هي من أتواصل معها.

ترامى إلى سمعي علاقة زوجي بموظفة في معرض السيارات، أنكرتُ ذلك في سخرية.

بيني وبين "سيد" تاريخ من الحب والعشرة، ورقعة من الآمال حققناها معا، وقطعة من الجنة عشناها سويًا.

ازداد تغيب "سيد" ولاحظت تغيره، وباتت تلك الإشاعة السخيفة تقفز أمامي كلما افتقدته

لستُ من هؤلاء النسوة التي تتبع إحداهن خطى زوجها، أو تحكم عليه القيد..

ولكن... ماذا أفعل في حدس الأنثى، وإحساس الحبيبة، ومرآة الوليفة ؟

أنكرت كل ذلك، حتى واجهني هو...

سوف أتزوج....

فعلها أبوه من قبل..

وقالها أبى:"العرق دّساس"

*****

مرّت أيام لم أخرج فيها من غرفتي.

لم تسقط منى دمعة..

جاءتني ابنتي تواسيني، وتحفزني لكي أعترض أو أهدد.
ألا تعرفين يا ابنتي أن الحب لا يستجدى!
وبم تهدد امرأة تخطتْ الستين؟
إنه نداء الغريزة الذي يتساوى فيها الرجال والحيوانات.
فيذهب عقلهم..وتحضر شهوتهم.
صديقتي الوحيدة لامتني فقد كنت لا أستجيب لنصائحها بالاهتمام بنفسي
فلا أصبغ شعري، ولا أحقن "البوتكس"، ولا أرتاد "السبا SPA"
كنت أظن أن الحب يُغنى عن كل هـذا.
هل تزوج "سيد" من أجلهم ؟
هل تصور "سيد" أن فتاته ستعود به ثلاثين عامًا إلى الوراء ؟
واهمٌ من يظن أن امرأة جميلة أو صغيرة قد تمنح أكثر مما تمنحه امرأة عاشقة..
هل ستفتعل النشوة معه في الفراش كما كنت أفعل، وأنا أرى قواه تخور، وقدرته تضعف؟
هل ستشعره كما كنت أفعل أنه سيد الرجال؟..وأنني لا طاقة لي به اليوم وأنا أراه شاحبًا، ويخبئ الحبة الزرقاء في جيبه؛ فأتصنع الإرهاق والنوم رفقًا به!
خلعتُ ملابسي كلها... ووقفتُ عارية تماما أمام مرآتي...أسدلتُ شعري..

شيبٌ اعتلى رأسي..جسدٌ امتلأ شحمًا..ونُهُد تدلى..ووجهٌ لن تفلح المساحيق في إخفاء تجاعيده....

انتظرته...

لم يأت..ولن يأتي

نزلتْ دموعي لأول مرة تحفر أخاديد على وجهي لم تحفرها تجاعيدي.

كان عليّ أن أحبَ جسدي من أجله.

كان عليّ إدراك أن الرجال يعشقون الجسد قبل الروح ؛ فأحافظ على عشقه كي لا أخسر عشقي.

*****

عند باب عطار شهير... اصطحبتني صديقتي.

تهمس في أذني:

هنا وصفات لا تجدينها في أكبر مراكز التجميل..

تستطيعين استعادة شبابك..

اشتريتُ وصفات كثيرة قد لا يكفى يومي لتجربتها كلها..

فواحدة لشعر أسود كثيف..وهذه لجسم مشدود... وتلك لوجه خالٍ من التجاعيد..وأخرى لأشياء كثيرة مما أهلكها الزمن.

نساء ورجال يدفعون المئات بل الآلاف

سألتها: جميعهم يستعيدون شبابهم ؟

همستْ صديقتي في أذني

الرجال هنا مفضوح أمرهم.. يشترون الوصفات من أجل فحولة ذهبت مع الزمن.

الرجال لا يعترفون بأعمارهم..لا يخضعون لقدراتهم..ولا يقبلون انكسارًا أمام نسائهم.

******

شهورٌ عديدة وأنا استخدم الوصفات...لا أجد لها تأثيرًا بينما تقول لي صديقتي أن الفرق يظهر.. فقط بعض الصبر..

أصبحتُ أذهب للعطار كل شهر..

أشترى الوصفات مع بعض الأمل.

في كل مرة أجد كهولًا وشيوخًا يدسون في جيوبهم وصفات الفحولة مع دعوات البائع

وتلميحاته الوقحة.

عام مرَّ.. وأنا أصبغ، وأدهن، وأشرب، وأنقع نفسي

أنظر في مرآتي..أخلع ملابسي.

مازلت كما أنا...ومازال هو هناك.

*****

حدثتني صديقتي عن وصفات من المغرب جاءته.

ذهبت إليه..

كان المحل مزدحمًا

الكل يشترى سنوات..

في انتظار دوري...

كان البائع يحادث زبونًا: "لا إن شاء الله المرة دي هتفلح بس أنت توكل على الله"

أجابه الزبون بنبرة حزينة: "يارب يبيّض وشنا"

استدرتُ لأرى وجه هذا البائس..

فكان " زوجي" وقد همّ بدّس الكيس في جيبه.

على الباب..تلاقتْ أعيينا...

وبيد كلانا كيس يبتاع به سنوات أهلكها الزمن...وأمل يراود صاحبه عن أمسه

ورجاء فينا يُراوغه العطار.

ذاكرة سيئة السمعة

مرت مرحلة طفولتك قاسية في بيت لم تشعري فيه قط بالدفء، أب متسلط، ترينه أشد قسوةً وتسلطًا من "سي السيد"، وأم مقهورة كنتِ ترينها ضعيفة لا تقوى على الدفاع عن نفسها وعن بناتها.

لم تحظِي بطفولة سعيدة..

ربما كانت أمك تشعر بخزي إذ لديها ثلاث بنات كنتِ كبراهن.. فدفعها خزيها لعدم رويتك اليوم لصور بشرائط حمراء تزين شعرك، أو فستان ب"كرانيش" أو صندل له كعب يصدر صوتًا كحذاء أمك.

لم تختلف صور أختكِ الوسطى عن صورك في الألبوم، ولا تجدين لأختك الصغرى صورًا؛ لكنكِ شهدتِ واقعًا حاولتْ فيه أن تفرض أنوثتها، ففشلتْ، فبدت مثيرة للشفقة بشعرها المعقوف ب"أستك"، وفستان ترتدي تحته بنطال.

القيود المفروضة عليكن قد كبلّت حالتكم المادية المتيسرة فلم يبد عليكن أي مظاهر لها

لا رحلات..لا متنزهات...لا..لا..

*****

مرتْ مرحلة صباكِ كفترة حدادٍ على أحلام وئدت، كنتِ ترينها على ألسنة صديقاتك، فلا تتعدى لديك طيفًا تخشين أن يراه أبوكِ فتطردينه سريعًا، أو حلمًا تخشين أن توقظك أمك، وتراه على ملامحك فتستيقظين فزعةً خيفةً أن تضبطك مع حلمكِ في حالة تلّبس.

تسمعين قصص الحب من صديقاتك، فتعيشنها حلمًا لا يكتمل، تشهدين حوارات عشق بينهن وبين من يعشقن، فتظلين شاردة حتى تستفيقي على حوارات أبيكِ وأمك التي لا تتعدى أوامر وجب عليها وعليكن تنفيذها..

أصبحتِ تعيشين أحلام اليقظة في بيتكم، بينما عقدت أختاكِ صداقتهما فتبث كلتاهما نجواها للأخرى.

كادت أحلام يقظتك أن تسلبك الواقع الذي تنتظرين تغييره..لا تعرفين كيف ؟ ولكن كان هذا هو أملكِ الوحيد للاستمرار في الحياة.

قد تلتقين جنيّة،

فتطلبين منها تحقيق أمنية..

ستلحين عليها في أكثر من أمنية..

ستختارين أبًا وأمًا آخرين..

فارس أحلام يحسدك عليه صديقاتك..

حرية بلا حدود...عقليات من القرن المقبل..

تستفقين على صوت أبيكِ في مشاجرة مع أمك بسبب وقوفها مع جارتكم بعد أن ضبطها متلبسة، وهو عائد من أمسيته على القهوة.

لا يمكن حتى الاستغراق في الحلم...فصوت الواقع أشد وأقوى..

*****

والتحقتِ بالمعهد العالي للحاسب الآلي..مغرمة أنت بعوالم أخرى غير عالمكِ

حاولتِ الاستغراق في دراستك للسيطرة على أحلام اليقظة..والهروب من الواقع.

علاقتك بالجنس الآخر لا تتعدى حلمًا يقفز بمخيلتك.

ترافقين زميلًا..تتعارفان...تتحابان...تعيشين في مرحلة الخطوبة...

ثم فجأة.. تجدينه يخونك في الواقع مع أخرى في كافتيريا المعهد!

تعددت علاقات الحب في خيالك...وازددتِ انفصالًا عن البيت ومشاجراته وسيطرة أبيكِ وخنوع أمك...فسيطرة والدك على هيئتك تحت إشراف أمك لم تجعلك تختلفين كثيرا عن تلك الطفلة التي ترتدي ملابس أشبه بالزيّ العسكري، وتعقف شعرها، ولن تجذب أنظار أحد.

ازدادتْ أحمال ذاكرتك..حتى كدت تفقدين الحلم حين لا يجد متسعًا...فتهربين لعالم الحاسوب

كثيرا ما كنت تقفين على تصنيفات ذاكرة الحاسوب..

تحدثين نفسك: عندما تظهر لي الجنية لن أطلب منها إلا أن أكون حاسوبًا.

سأستطيع مسح ما أرغب من بيانات...سأحتفظ بما أريد على قرصي الصلب...سأمنح ذاكرة مؤقتة لكل أيامي غير السعيدة.

لا أريد ذكريات..لا أريد أحلام يقظة..سأصنع لنفسي ذاكرة، ووحدة تحكم، ومعالج من الجيل الخامس.

****

نجحتِ في دراستك وجاءتك منحة لأمريكا...بالطبع لم يوافق أبوكِ.

تدّخل القدر حين تطوع خالك لتقديم موعد سفره ليرافقك، وتطوّع مرة أخرى لإقناع والديكِ، وتطوع ثالثة حين وعد بمرافقتك طيلة مدة المنحة.

كانت تلك المرة الأولى التي تسافرين فيها خارج حدود مدينتك، بل منطقتك السكنية باستثناء ذهابك للمعهد.

شاهدتِ هناك عالما آخر..وعقليات أخرى تشبه التي تحلمين بتصنيعها.

******

توطدت علاقتكِ خلال فترة المنحة بالبروفسير المرافقة لكم حيث كانت تجيد العربية..

تحدثتِ عن أمنيتك في أن تكوني حاسوبًا لتمسحي المخزون على ذاكرتك.

اصطحبتكِ إلى طبيب مشهور...عرضت عليه رغبتك.

وكأنهما وجدا ما يحقق لهما تجربة مجنونة..وكأن الأمر وصل لمرحلة البحث عمن مثلك..

أخبرك الطبيب أن هناك اكتشافًا ما زال تحت التجربة يحقق لكِ رغبتك، وهذا الدواء لم يُعرف له بعد أعراض جانبية، أما تأثيره فهو

يؤثر على قشرة الدماغ الأمامية وتحديدًا على "الفص الجبهي"، وسوف يقوم بمسح الذاكرة القديمة.

قد يؤثر قليلًا على الفص الأيمن للمخ المسئول عن الصور، وأكثر عن الأيسر المسئول عن المعلومات والأرقام.

أعطاكِ مهلة لدراسة الأمر، والتفكير به

وافقتِ دون تردد...فحالك لن يكون أسوأ مما أنتِ عليه.

أخبرت خالك...رفض، لم تكترثي، وبدأتِ في تناول الدواء

*****

مرَ شهر..اثنان

بدأت ذاكرتك في لفظ الأحداث السيئة... كلما مرت أيام تجدين أنكِ قد نسيتِ مرحلة أو أحداث تسبب لكِ آلامًا.

تلاشى صوت أبيك الذي كان يدفعكن للهروب داخل الغرفة طيلة اليوم، ونسيتِ كف أمك الذي نزل على وجهكِ حين وضعتِ أحمر شفاه لأول مرة، وانكسار أختيكِ الذي أصبح ملمحًا مميزًا .

رجعتِ من المنحة، وكلك سعادة...

ستتخلين عن أحلامك التي تُعطلك، وأحمالك التي تؤرقك.

ستقبلين على حياة جديدة.. بذاكرة بيضاء.

ستصنعين مستقبلًا مختلفًا..

عدتِ لأرضِ الوطن...كدتِ تختنقين من الزحام.

تتساءلين كيف كنت أتحمل السير في الشوارع ؟

كانت تلك أول مشاهد تلتصق بالذاكرة الجديدة

فتحت لك المنزل فتاة رقيقة حزينة هى..... أختك

ارتمتْ في أحضانك وبكتْ وسط دهشتك..

وأعقبتها أخرى أكثر حزنًا وانكسارًا هي... أختك الثانية!

تشاهدين صورة ذات شريط أسود معلقة على الحائط لرجلٍ تبدو عليه ملامح الوقار

إنه..... أبوكِ!!!!

وسيدة طيبة تجلس على كرسي متحرك.... هي أمك!!!

تتساءلين: متى مات هذا الرجل ؟ ومنذ متى تجلس هذه السيدة على الكرسي ؟

ولم أختاي بهذا الحزن والانكسار ؟

لا تعرفين إذا كانت ذاكرتك السابقة أفضل حالًا من:

أم كسيحة..

وأبٍ مات دون وداع..

وأختين لا تكفان عن البكاء..

كل ما تعرفينه..

أن قرصك الصلب سيمتلئ سريعًا بمشهد هؤلاء التعساء الآن.. وقصصهم لاحقًا

الرجل ذو الأزرار

"النظام ناموس كوني..والنظام قانون الجسد.. والنظام قانون دولة..
الحب ليس فوضى...الحب منبعه القلب...والقلب عضو
منظم..نبضه..آلية عمله
إذا اختل أحدهم فلابد أن يكون هناك علة....لسنا عليلين "
استطرد في محاضرة طويلة كرد فعل على فعل أرعن قمت به، بينما تلاشت ابتسامتي شيئًا فشيئًا.
شيئان لا يمكن أن يتراجع فيهما الإنسان..
كلمته.....وقبلته.
أعاد نظارته فوق أنفه، وانكب على ما يقرأه.
جررت أذيال خيبتي، وغادرت كهفه الذي يمكث فيه طيلة اليوم.
لم تكن غير قبلة باغته بها...لن يتبعها شيئًا..لن يخسر كثيرًا إذا بادلني إياها
لكنه لم يكن موعد القبلات...
كان هذا آخر فعل أحمق تبتُ عنه الآن بعد سنوات طويلة.
******
قبل زواجنا كنتُ أرى نظامه مزية؛ لكنني اكتشفتُ أن النمطية قد تقتل الروح في الحياة. فتصبح موتًا يتنفس..وفي الجسد فيصبح آلة تسير على قدمين.
الأجهزة تتعطل..الأجساد تعتل..الكون يتعاقب عليه فصول أربعة.

سأقدسُ نظامك..سأركع له، ولكن دعني أغير أثاث منزلنا، موعد غذائنا، ساعة لقائنا.

فقدتُ حماستي في تغييره...ولم أعد أعبأ.

رفض هو الطلاق.. وعشت كارهة لحياتنا معًا...ولم يعبأ.

رفض أهلي الخلع فمازالوا يحتاجونه...ولم يعبأوا.

لا صخب..لا صوت لطفل يبكي...حين حدد توقيتًا لبحثنا عن الإنجاب، كان القدر قد ضغط على زر خصوبتي.

لا صوت لأي ثرثرة في البيت...فالكل ينفذ بناء على صوت أجراسه.

****

أغفو على وسائد حروف نزار..وألتحف كلمات جبران لميّ.. يهمس صوت كاظم في أذني..وتداعبني قبلات كلارك جيبل لفيفان لي.

استفقت على زره يستدعيني لغرفته، ليفسد على حلمي بزر بنطاله.

ارتديت قميصي الحريري..وضعت عطري الذي يفضله، أطلقت خصلات شعري ليلّفها على أصابعه.

طرقت باب غرفته ودخلت.

كان ممددًا على فراشه فاتحًا لي ذراعيه:

– حان وقت الحب حبيبتي

*****

لم أستطع يومًا أن أخونه كما فعلت فاتن حمامة مع عمر الشريف في "نهر الحب"

قد يكون هو ليس بسوء "زكي رستم"؛ ولكنني عانيت أكثر.

كان من السهل أن أجد "عمر الشريف"؛ لكنني لم أستجب.

كان من الممكن أن يحولني لخائنة؛ ولكنني لم أستطع.

كما لم يستجب أي شيء مني له...ولم أستطع الشعور بأي جزء منه خارطة جسدينا مطموسة..توقيت إبحاره دومًا في التوقيت الخطأ

تقلب الناحية الأخرى بعدما رسا على مرفئه وضغط على زر شهوته فاستكان..... ونام

– يمكنك أن تذهبي لغرفتك حبيبتي.

لما لم يخلق الله زرًا لإنهاء حياتنا ؟

سيكون الامتحان أصعب لمن يستطيع الاستمرار دون كبسة زر.

******

انسحبتُ إلى غرفتي وأنا أحسد كل النساء اللاتي يغفون في أحضان رجالهن، وتكورت في فراشي احتضن وسادتي...

قررتُ أن هذه هي المرة الأخيرة التي استجب فيها لنداء جرسه وغريزته...

نمت بعد فترة طويلة يراودني فيها طيف عمر الشريف، ولا يجرؤ على الاقتراب...

رن جرس الصباح..والغذاء..والساعة السادسة.. لم ألب نداءاته.

مارستُ طقوس يومي بحرية.. حضر الكهربائي ليتمم على التوصيلات الكهربية بعدما استدعيته قبل موعده الشهري.

خرقتُ كل الأنظمة...

لم يستدعني..

لم يعطني درسًا طويلًا في المساء كعادته.

في الصباح لم أسمع أي أجراس في المنزل.

لأول مرة كانت هناك أصوات أخرى.

لم أتحرك من غرفتي..

دخلت الخادمة دون أن تطرق الباب تصرخ:

– البيه مش بيرد..

دخلت معها غرفته.

كانت يده ممتدة إلي الزر، ووجهه أزرق.

صرخ كل من في البيت..

صمتت كل الأجراس.

أثبت تقرير الطب الشرعي موته نتيجة صعق كهربي.

ماس كهربائي ربما أدي لذلك

مات زوجي..

أخذ معه أزراره التي خانته.

*****

مرت فترة العدة، ولم أشعر بها...

تنفست الصعداء..وتخلصت من توتر وضغط بحجم عمري، وبشدة سطوة زوجي.

أخيرًا أصبح وقتي ملكي أنا...أفعل فيه ما أشاء..كنت أشتاق لحياة فوضوية أفعل فيها كل ما حرمتُ منه.

فعلتُ في شهر كل ما لم أفعله في سنوات...ثم اعتدتُ كل جديد، فمللتُ كل شيء.

هل يستحق هذا الشهر كل هذا ؟؟

لفتني الوحدة.. كما عشش الصمت أرجاء البيت.

هل افتقده؟

هل صمت الجدران يشتاق لتلك الأزرار التي كانت تحضنها؟

لا..لا

جلست شاردة.....

رن جرس الباب!

كان اليوم إجازة الخادمة.

ارتعبت...

كيف يرن؟!

كيف؟؟؟كيف حدث ذلك؟؟

كيف عاد للحياة؟ ... هل؟؟؟؟؟

نهضت وأنا خائفة اتجه نحو الباب بخطوات متثاقلة.

فتحته...

لأجد الكهربائي يمد لي يده...

– البقاء لله.

59

ودارت الأيام

اطمأنتْ لصوتِ غطيطهِ، فنهضتْ من فراشها متسللةً لخارج الغرفة في خدرٍ يفصلها عن ذاك العالم.. بوجع حاضره وماضيه.

لملمتْ ملابسَها مع أشلاء روحٍ تناثرت..وحلمٍ تبعثر..

نظرته في نظرةٍ بلا معنى، وهو ممددٌ كجثةٍ على فراشهِ لا تسترها ورقة توت... يُقال إنها أفضل من "ضل حيطة"

ارتكزتْ على نصف كرسي متهالك؛ فالتقطتْ المذياع، وأدارته على محطة تبث أغاني للست.

تنهدت وهى تستمع لتلك الأغنية...

سعالٌ قطعَ عليها إنصاتها للأغنية..أغلقته سريعًا، وكتمت أنفاسها حتى توقفَ السعال، وتسّمعت أزيزَ الفراش، وهو يتقلب يُمنةً أو يُسرةً.

عاد صوت شخيره ؛ فاطمأنت....

لم يختلف.. ولم يختفِ ذاك الشعور المرتبط بصوتِ الشخير..وإن ظنت أن الأمرَ سيتغير.

****

ظنت أنها ستخرج إلى الجنةِ حين تقدم للزواج منها، فينتشلها من تلك الحجرة التي تنام فيها مع إخوةٍ خمسة، وأمٍ... وزوجها

تمنّت لأوقات أن تكونَ صماء؛ فلا تسمع نشيج أمها وآهاتها عندما ينالها "علقة " من زوجها..وصلة من السباب لا سببَ لها إلا سوء المزاج..

صوتهما معًا حين يمارسان الحب بلا حب، صوت أزيز السرير حين ينهض إليها، فتتكور، وتتململ أختها بجوارها.

متكومةٌ في ركنٍ تنظر لحائطٍ رطبٍ متشقق..ربما سرّت عن نفسها بملاحقة صرصور أسرع داخل الشق..فحسدته على أمنه داخله شقه.

تخشى أن تتقلب إلى الناحية الأخرى فترى جثته الضخمة، ويده الغليظة التي تدهس جسدها غير مباليةٍ بإشارات حمراء، أو محطات وقوف.

تتصنعُ النوم.. تعتصرُ جفنيها.. تتعالى أنفاسها ...تكتمها.. تتكور على نفسها .. لتحمي، وتحتمي.

فريسةٌ هي لا تستطيع الفرار من وحشٍ ينتهك دون أن يترك آثار دماء.

يعلن السرير صوته في غضب.. وكأنها إشارة غير متفق عليها بينها وبين أختها الطفلة..ولكن في كل مرة تنهض أختها لدورة المياه، أو تتقلب على حصيرة قديمة تفترشها، يذهب مضطرًا إلى فراشه مُغمغمًا لاعنًا لها ولأبيها خشية افتضاح أمره بعد طيلةِ عبثٍ في أرض لم يطأها إلا العابثون في الأتوبيس أو في طابور العيش.. أو في... و... وأخيرًا.... تسمع صوت شخيره...

تطمئن.. وتندس في فرشتها حتى يلكُزها صباح التالي في غيظ ؛ لتجّهز له "حجرين للشيشة " بينما تعد أخرى له فطورا تنتظر أن يفرغ منه؛ لتتناول فُتاته.

*****

كان زواجها هو دعوة أمها المستجابة لتخرج من حجرة إلى حجرتين بمنافعهم..وهى تراها الجنة بعينيها...

لا ضيرَ من أثاثٍ قديم....كالتي تجلس عليه..وزوج شره له كرش متدلٍ..ورائحة أنفاس كريهة..وعرق كان يشابه رائحة عطن الحائط الرطب الذي تلتصق به.

فلديها اليوم سرير يصدر أزيزًا كالذي يصدره سرير والدتها.

يئن سريرها ويصدر صوت كراهيته له ؛ فتتذكر أختها الصغيرة حين كان يفزعها أزيز سرير والدتها، فينقذها فزعها من بين يديه.

تُرى أي أرضٍ سيعيث فيها زوج أمها عابثًا بعد رحيلها من جوارها ؟ سؤالٌ كان يقتلها رعبًا حين يقفز لمخيلتها صورتها منبسطةً في فرشتها..فتهرب من افتراضية الإجابة عليه.

****

أدارت المذياع مرة أخرى...كانت "الست" انتهت من أغنيتها..لم يصلها إلا صوت وشيش أدارت المؤشر، علا الصوت أكثر..

حينها ارتفع صوت الشخير..

فأغلقت المذياع، ونامت متكومةً كالكرة، وهى تتخيل كرة أخرى في بيتٍ هناك....

65

کرسی هزاز

ما زلتُ أتذكر اللحظة التي دخل فيها "ديفيد" بالكرسي الهزاز يفاجئني به لنضعه أمام المدفأة، ويضعني على ساقيه، وربما سقطنا معًا ؛ فننهض سريعًا ضاحكين لنطمئن على أن الكرسي مازال سليمًا.

بعد رحيل "ديفيد" لفيتنام بعت قطعًا كثيرة من أثاث المنزل إلا المدفأة والكرسي؛ فهما ينتظراه كما أنتظره.

وصلتني رسائل من "ديفيد" في أول عام، فأقل في الثاني، حتى انقطعت تمامًا.

أقرأ رسائله على الكرسي، وأتخيلني جالسة على ساقيه يُقبلني، ويهمسُ لي بكلمات الحب في أذني.

تتأرجح ذكرياتي بين الأولى والسابعة... حتى كادت تسقط، وأنا أستعيدها على هذا الكرسي الذي تحمّلني عشر سنوات حتى عندما ثقل وزني وحزني وذكرياتي.

لم أستطع تحمل وحدتي وبرودة فراشي أكثر من ذلك.

مرت أول ثلاث سنوات قاسية على امرأة وحيدة بلا رجل ولا طفل ولا أصدقاء.

من عملي في المطعم... تعرفت إلى صديق كنتُ أبثُه شكواي وحزني ؛ فيشاركني السماع والتأثر، ثم بعد ذلك شاركني الفراش.

سخرَ مني حين طلبتُ منه أن يجلسني على ساقيه أمام المدفأة.

وجدت شخصًا غبيًا شهوانيًا؛ فطردته بعد شهور من حياتي.

عرفتُ آخر أكثر رومانتيكية.. جلسنا سويًا أمام المدفأة.. دفع بمزيد من الخشب داخلها..

اهتز الكرسي..نام..وانطفأت نيران المدفأة.

لم أجد أبدًا كمن هو مثل "ديفيد"

عدت أجلس بمفردي على الكرسي، وأدفع بالخشب في المدفأة، فلا أشعر بحرارة ولا دفء.

*****

تنطلق أصوات من بيت عربي بالجوار تسمى "زغاريد"!

سيدة وحيدة لديها أبناء كثيرون.. زوجها مثل زوجي يحارب، ولكن ليس في "فيتنام".

تعجبتُ حين تعرفت عليها فوجدت أن هؤلاء العرب يطلقون زغاريدهم إذا مات أحباؤهم..

لا يمكن أن أفرح إذا مات "ديفيد"!

قد أعاشر غيره لحين عودته...قد اضطر لمن يشاركني وحدتي، أو برودة فراشي.

مات ابنها وحضر الجيران لعزائها.

لم تكن حزينة!!

غاب زوجها سنينًا طويلة ربما أكثر من "ديفيد".. تفخر أنه يُحارب، وتتمنى له الموت أو تتحدث عن حلم العودة لهم جميعًا.

تزوجت ابنتها بعربي آخر فرحوا، وأقاموا عرسًا وابتهجوا!
مات الابن الثاني، فالثالث... فكانتْ صامتة وتشكر الإله!
عجبتُ....كيف يتقلبون بمشاعرهم بهذه السهولة، وهذا البرود!
باتتْ وحيدة بعد زواج بناتها..
لم تصادق أحدًا.. لم تشك غياب زوجها..ربما لا تحبه!
فكيف تحتمل فراشها دون رجل..وبيت بارد بلا عواطف ؟

******

سنوات مرت...عرفتُ رجالًا كثيرين وعاشرتُ آخرين..وفي نفس الوقت انتظرت "ديفيد" ومازالت تلك العربية كما هي..
ربما تكون هذه السيدة شاذة؟
لا يبدو عليها أبدًا.. ولا يرتاد منزلها إلا بناتها وأزواجهم وأقاربها العرب.
في السنوات الأخيرة من غياب زوجي عاقرتُ الخمر.. كي أنسى وحدتي وأنساه.
ينتهي عملي ويبدأ ليلي وكأسي...ربما أتى معي أحدهم.
وربما ظل هنا...كأس فارغ.. وكرسي خالٍ.. ومدفأة بلا حطب.
فرغت الزجاجة قبل أن ينتصف الليل.... دارتْ رأسي
فإذا بي أجده داخلًا أمامي!
لا شك أن الخمر لعبتْ برأسي...وهذا محض خيال..

قذفته بكأس..فأصابه..

– ابتسم..نعم إنه أنا..

نهضتُ.. وسرت إليه وأنا أترنح...

ارتميتُ في أحضانه...

ضمني بذراع واحد فقد كان الآخر يحتضن عكازه!

لا يهم...المهم أنه عاد..

ليت جارتي العربية تعيرني حنجرتها..

******

هزل "ديفيد"...كان وجهه شاحبًا، وجسده نحيلًا..

ولكن من المؤكد سيظلُ حضنه دافئًا، وقلبه محبًا.

لم يتكلم كثيرا...لجأ للفراش.

نام ليلتين كاملتين..

أعددتُ له ما يحبه من طعام.. لم يأكل شيئًا..

ربما أعييته الحروب والسفر!

لم يشرب فنجان قهوته... لم يكترع كأسًا... لم يضاجعني... لم يسألني ماذا فعلتُ في غيابه؟

هل تأكل الحربُ ألسنتهم؟!

هل تنتزعُ قلوبهم؟!

هل تنسيهم نساءهم؟؟؟

لا يهم كل هذا...
سيعود كما كان عندما يحتضنني... وهو جالس على الكرسي الهزاز.
سنتوحد.. ونلتحم، وتسري مرة أخرى الحرارة في جسده..
سيطلب مني كأسًا... فقبلة.. ثم يمارسُ معي الحب.

دعوته أن يجلس على كرسينا الهزاز.. وأنا أشعلُ المدفأة.
ففعل مثلما فعل عشيقي الأول... وكأنه نسى تمامًا كرسيّنا وجلستنا.
ظل "ديفيد" صامتا أسبوعًا.. شهرًا... عامًا...أبدًا..
وأنا صامتة أيضًا أنظر له في حسرة...
بيت باردٌ.. صامتٌ...
لا يكسر صمته إلا تلكَ الزغاريد التي تصلنا من بيت الجارة العربية...

صراع

صراعٌ استمر زمنًا ليس بالقصير...هتافاتٌ تناديها من الأفق..فرصٌ تأتيها، ولا تنتهزها..

شعورها بمسئوليتها نحوه يجعلها تعيش الصراع داخل تلك الكُوة رافضة نداءات الانطلاق نحو الهوة.

محاولات التحرر تنتهي بالإخفاق.. ومجاهدات التمسك تنتهي بالنجاح.

ظلت حبيسةً لأعوامٍ..تُعاني من سلطته، وبغيه، وشراهته..

*****

نزيهةٌ هي..وهو غير ذلك، ولكن دوما ما يُنعتا بصفةٍ واحدة، وإن كانت منها بريئة.

وصمٌ لها أن تظل في حوزته..وتحت إمرته، وهى الرافضة لكل ما يفعل.

وهَنَ..أصابه المرض..تخلى عن نزواته، وندم على سقطاته.

زاره كثيرون ليسوا بأصدقاء ؛ ولكنهم كانوا يُسدون النصائح مقابل أموال وليس فضلًا.

*****

أخيرا استكان وزهد..... لكم كانت في إشكالية الانصياع والرفض... الكراهية والطاعة.

ألفته أخيرا.. بعدما هدأت نيرانه،وخمدت جذوته..

كَّفت هي عن النزاع... وكفّ هو عن الصراع.

حتى كانت زيارة ذلك المخيف.....

****

انتزعها منه عنوة.

حاولت التشبث.. جاهد في التمسك؛ لكنه كان الخلاص.

حزنت لفراقه لحظات...حزن لفراقها للأبد.

انطلقتْ هي وحولها طاقة هائلة من النور..

وظلّ الجسد مُسجى..

شهد الفقراء

"إياك أن تضعي حاجة في بقك مش بتاعتك"

"شهد الأغنياء نار في جوف الغلابة"

"خلينا لهم الشهد في الدنيا،وخلي لنا شهد الآخرة".

لقنتني أمي تلك الجملة كما لقنتها لها أمها.

عندما عملتُ بمصنع "البيه" كان عمري لم يتعد العاشرةَ حينها، وكانت هي تعمل خادمة في قصرهم منذ ترّملها.

كنتُ أحملق في وجه أمي الذي تملؤه التجاعيد برغم سنها الصغير، وهى تكرر لي كلماتها كل فترة،وكأنها ترّتل لي آية من القرآن الحكيم،أو ترنيمة من العهد القديم.

مررتُ بكل أقسام المصنع حتى وصلتُ لقسم التغليف، وكان بمثابة ترقية وصلتُ لها بعد سنوات طويلة.

كان بالمصنع قسم للحلوى الفاخرة تلك التي يأكلها الأغنياء بالزبد والعسل والمكسرات، وأحيانًا الفراولة.

لا أعرف حينها على أي مائدة يتناولونها..ولكنني لم أنس العقاب الذي وقع عليّ من مشرفة القسم حين التهمت واحدة؛ فأخبرتها ماكينة التعبئة.

فلعنتُ تلك التكنولوجيا التي تخبر الأغنياء بفقدهم لقطعة حلوى، ولا تخبرهم بفقدنا لكل شيء.

ثلاثة أيام لم أتناول فيها وجبة الغذاء التي تُصرف لنا في المصنع، وأعتمد عليها طيلة يومي.

ثلاثة أيام نمت أطوي الجوع، وأنا أخشى أن أخبر أمي بتناولي لقطعة شهد.

شهد الأغنياء لم يكن نارًا يا أمي بل جمرة أشعلتْ نار الجوع لأيام.

مرتْ أيام وسنوات في المصنع..

تعددتْ الأقسام والمنتجات، واشتهر المصنع، واستغنى عن عمالة كثيرة بحجة التكنولوجيا.

دائما تساعدهم التكنولوجيا!

لم يستبعدوني.. ربما لتزكية أمي التي مازالت تعمل في قصر أصحاب المصنع!

******

كانت "حنان" من العاملات المتعلمات.

تقول كلامًا رائعًا لم أفهمه كله عن حقوق العمال والمساواة والعدل، وأننا أصحاب المصنع ولنا حق فيه، وأن الإقطاعيين والأغنياء يزداد عددهم بزيادة عدد الفقراء.

نعم.... لقد ازداد فقراء حينا الشعبي.. واتسع المصنع.

أعجبني كلام "حنان" وبتُ أفكر فيه كثيرًا.

ووجدتُ أن لي حق بهذه الحياة لم أنله، وحق بالمصنع، وحق بالجمال الذي أصبح حكرًا على الأغنياء.

فقد كانت بنات المصنع يتحدثن عن جمال هيفاء ونانسي وأخريات، وأنهن يحشوهن حشوا..ثم يشرن إليّ "والله أنتِ أحلى..أنتِ أحلى

من الفراولة" أضحكُ بسخرية وأنا أقول لهن"قيراط حظ ولا 24 فدان فراولة.

كنا نعمل جميعًا أكثر من عشر ساعات، بينما كانت حنان تحثنا على الرفض والاعتراض.

لم نجرؤ..

قُطِع أصبع زميلتنا"هدى" بماكينة التقطيع..هُرعنا جميعًا نحو صراخها... سالت دماؤها بلون الفراولة..

فضتنا المشرفة، وذهبت بها لعيادة خارجية.

بعدها لم تعد للمصنع..وعرفنا أنها تقاضت مكافأة من المصنع... واستقالت.

****

هاتفتني أمي ذات يوم وطلبتْ مني الحضور لقصر "البيه" لتعطنِي عشاءً، وتخبرني أنها مضطرة للمبيت إذ يعدّون وليمة لحفلة كبيرة بالقصر.

شاهدني ابنه، وسألني عن اسمي وفي أي الأقسام أعمل ؟

دعت له أمي كثيرًا لا أعرف لماذا وكأنها حصلت على منحة جراء تسوّلها!

في اليوم التالي زارنا "ابن صاحب المصنع" في القسم، واستدعاني لمكتبه في فترة الراحة.

كان مختلفاً عن شباب "الحارة" وسيماً، متأنقاً، عطره يفوح قبله فنعرف بأنه قادم للقسم.

أبدى إعجابه بمهارتي، وبوالدتي وعشرتها معهم، أعطاني ظرفًا به مكافأة، و طلب مني ألا أقول لزميلاتي

سعدتُ بالمكافأة..وسعدتُ أكثر بمقابلته

أذهب إليه ليس فرحًا بظرف المكافأة الهزيل فقط وأنا في أمس الحاجة لأقل منه، ولكن ثمة مشاعر كانت تتحرك نحوه.

تقول حنان أن للفقراء حق في مال الأغنياء، وأتساءل ألهم مكان في قلوبهم؟

ولم لا.. ألسنا بشرًا مثلهم..أملك كما يقول زميلاتي جمالًا قد يُغري الأغنياء، ولكن لن يشتريني أحدهم كما يشترى علبة حلواه الفاخرة.

سأمنح نفسي لمن أحبه..

وقد أحببته...

تكررت زياراتي للمكتب..وأصبحت الإشادة بعملي ثناءً يحمل بين سطوره مشاعر..فعاطفة يبثني إياها في شكل ظرفٍ مغلق.

لم تصرف لنا حوافز برغم ارتفاع الأرباح..هتفت حنان تسّبُ الإقطاعيين وتلعنُ الرأسمالية.

لم أهتف معها.. فقد كان حبيبي منهم

لم نفهم جيدًا كلامها عن "ماركس" ولا عن الصراع الطبقي، ولكن ما فهمنا بعضه أنه يدافع عن طبقة لا يحق لها أن تتذوق ما يأكله الأغنياء، وأن "ماركس" ربما مات بسيف أحد الأغنياء!

نظمتْ حنان تظاهرة للمطالبة بالحوافز المتأخرة دعاها نائب مدير المصنع لمكتبه

وعدها..وعليه وعدتنا بنيل جميع حقوقنا.

بعد أيام لم تأت المصنع...وقالت المشرفة أنها قدمت استقالتها و"باعتنا" وتقاضتْ مكافأة.

***

تطورت علاقتنا في صمت.

الحب الراقي تتصف به تلك الطبقة...لاصوت..لا رائحة..ولكنني فيما بعد سأتذوق نكهته.

كنا نعد علبة فاخرة من الحلوى..مغلفة بشرائط من الحرير ومحشوة بنوع من الخمور الغالية وقطع الفراولة..

لمن تكون؟؟

ابتسمت للإجابة في نفسي..

أعمل ساعات عمل دون توقف ؛ لأنال رضا حبيبي...فيسعد لذلك، ويشكرني بكلمات ودودة لم أسمعها من قبل، وتنطق عيناه بمشاعر يكتمها احترامًا لخجلي.

****

غاب عن المصنع عدة أيام.

تناثرت أخبار عن وصول ماكينات حديثة أخرى قريبًا

ترددنا بين الابتهاج والخوف..فلم ندر هل ستساعدنا الآلة أم.....؟

سمعنا صوت زغاريد تنطلق من مكتب صاحب المصنع.

اتجهنا جميعًا نحوه..

كانت علبة الحلوى الفاخرة موجودة على مكتبه وجميع العاملات يباركن له.

انتشر الخبر..

فولده سوف يتقدم لخطبة ابنة شريكه.

انتظرتُ حبيبي حتى استوثق من الخبر.. لم يأت!

لم يُمهلني الوقت...

جاءت دفعة الماكينات الجديدة.

وكنتُ أول العاملات خارج المصنع.

وكانت والدتي خارج القصر حيث رأوا أنها بلغت سن التقاعد.

زارتني إحدى زميلاتي توصني على أن أحرص على المكافأة، وأحاول بداية مشروع بسيط.

تذكرتُ مكافأة هدى..

ومكافأة حنان..

و.....

شفاه ملونة

أضفتُ للمجموعة لونًا ونكهة أخرى.. أسمع دومًا عن شفاه بلون "الكرز".

معاش أبي يذهب جزءٌ كبيرٌ منه في شراء ألوان، وأنواع فاخرة من تلك الأصابع الملونة.

لا أعتقد أن أمي كانت تستخدم ماركات عالمية كالتي أقتنيها.

مازلتُ أذكر أمي وهى تطلي شفتيها على عجالة دون تحديد بقلم، أو وضع مثبت، وملمع، ومُعطر و.. كما تقول لي البائعة لتبتز بعض أموالي.

كانت تغلق الباب، وأسمع ضحكاتهما، وتخرج بعد ذلك، وقد أصبحت شفاهها باهتة دون طلاء.. اعتقدتُ في البداية أن أبى يمسحه لها؛ فيتبادلان الضحكات ثم تلصصتُ ؛ فرأيته يلعقه فتمازحه أحيانا "أنت واكل لغاية دلوقت صوبعين روج"

******

تذوقتُ ذات مرة ذلك الذي يأكله أبي فلم أجده لذيذًا على الإطلاق.

بعد فترة أدركت أن أبي لم يكن يلعق أحمر الشفاه، وإنما.....كان يلعق شهد حبهما.

مرت فترة تعليمي المتوسط وأنا بلا صديقات..فقد كان أبى يخشى عليّ الاختلاط بأي شخص.

علاقاتنا الأسرية شبه منعدمة، فأبي كان يخشى تعليقات أفراد عائلته التي تجرح أمي حين يتمنون له الولد، وكانت أمي قليلة التزاور مع أهلها؛ حتى لا تُشعره بافتقاده لأهله.

لم أر أمي قط بلا زينة، ولا أحمر شفاه أبدًا فقد كانت دومًا متأنقة.. متزينة.. حتى فوجئت بها ذات يوم شاحبة الوجه باهتة الشفاه.

وتكرر الأمر، وتكرر خروجهما معا للطبيب حتى علمت أن أمي مصابة بمرض خطير.

كان أبي لا يفارق أمي، وكنت لا أفارق دمعي الذي يُغرق كتبي.

******

حصلت في الثانوية العامة على مجموع ضعيف لم يؤهلني إلا لدخول معهد متوسط.

انتهت دراستي بالمعهد ومعها حياة أمي، و أمل أبي في الحياة، فلم يمهله القدر أكثر من عام مات فيه كمدًا على فراق أمي لم تنقطع فيه دموعه.

أصبحت وحيدة تمامًا....

بلا أم، لا أب، ولا أقارب، ولاصديقات.

كل ما ربطني بالحياة غرفة أمي، ورائحة الذكريات التي كان يشوبها رائحة الموت، ومعاش أبي الذي كفاني شر السؤال، وأصابع ملونة تحمل نكهة السعادة.

******

عملت في شركة صغيرة بمرتب ضئيل بعقد مؤقت حتى لا أخسر معاش والدي ليس لحاجتي للمال، ولكن لحاجتي للخروج من بيت خالٍ من أحبائه.

خلعت لبس الحداد، ولم يخلعه قلبي.

كنت أبحث عن أي بصيص لشعاع من السعادة ينير قتامة حياتي.

امتدت يدي لإصبع ملوّن، وطليت به شفتيّي، وابتسمتُ في المرآة.

ربما كنت أبدو أجمل..لكنني في الحقيقة كنت أنتظر معه شيئًا آخر.

وجدت في البداية صعوبة للانخراط في العمل من حيث علاقاتي بزميلاتي، أو بالأحرى زملائي...

تأقلمتُ بعد فترة ليست بالقصيرة وصرت أندمجُ مع زميلاتي، وأتطلع عن بُعدٍ على زملائي.

دعاني أحد الزملاء لتوصيلي لم أمانع كنت في حاجة لوجود أي إنسان في حياتي.

كان ثناؤه عليّ أشبه بمغازلة لطيفة قبلتها ببعض الود..

توطدت علاقتنا..تكرر التوصيل، وأعقبه لقاءات، وغزل، وبعض مشاعر أخطأتُ بوصلتها...حتى كانت تلك القبلة التي لوّك فيها شفتي فلم أشعر بأي متعةٍ.

وجدت علاقتي به لا طعم لها مثل قبلته... فقطعتها.

تكرر الأمر مع آخر، وتذوقتُ قبلته فلم أشعر معها أيضا بطعم ولا بنكهة، ولم ترسمْ أي ابتسامة خافتة على وجهي.

تودتُ لي إحدى الموظفات بالشركة، وقد كانت لا تروق لي تصرفاتها، وجرأتها الملحوظة.

دعتني مرة على العشاء.. ثم أخرى على حفل في منزل أحد أصدقائها.

كانت أجواء مختلفة تمامًا لم أرها من قبل.

شفاه مطلية بألوان صارخة..

قبلات ليست في الخفاء..

كؤوس وضحكات تملأ الأركان..

كنتُ تواقة لترتسم تلك السعادة التي كنت أراها على وجه أمي...وكانوا شرهين لسعادة من نوع آخر

ارتديت أقنعتهم..ووضعت عطورًا ومكياجًا من أغلى الأنواع...وخلعت بعض حيائي، أو ربما هو من تخلى عني، فلا مكان له هنا.

تذوقني بعضهم.. ونفرت من آخرين..ولم أجد طعمًا لقبلة ولا دفئًا بين أحضانهم.

وجدت نفسي أهب قبلة أو حضن أو لمسة طلبًا للحب أو السعادة.

ولم أجدهما....

إذًا أين ؟؟

أين تلك القبلة التي كانت تهب أمي هذه الابتسامة ؟

أين الرجل الذي سيموت عليّ كمدا كما مات أبي على أمي ؟

لطمتني سنة بعد أخرى لم أحصد إلا بعض لمزات زميلاتي عن علاقتي بتلك الصديقة، وتقرب الكثير من زملائي سيئي السمعة والأخلاق.

أفقتُ على دعوة أحدهم المعروف بعلاقات متعددة مشبوهة لمرافقته في سفر للخارج تنظمه الشركة لرؤساء الأقسام..كان شكل ومضمون الدعوة واضحًا.

أدركت أنني على حافة الهاوية.. إن لم أكن تجاوزت الحافة ووقعت في سحيقها.

قدّمتُ على إجازة ولم أنتظر قبولها..أغلقت هاتفي..وعدت لغرفتي وبيتي الخاوي.

أصبحتُ أقضي أغلب وقتي ما بين غرفتي وغرفة والديّ وأخرج مساءً أتسكع حتى يغلبني التعب ؛ فأعود لاستسلم لنوم لا يأتي طوعًا.

****

على طريقِ الكورنيش استعدتُ شريط حياتي... قبلات أبي المغموسة في الحب... شفاه أمي المطلية سعادة..قبلات هؤلاء الرجال المغموسة في رائحة التبغ والكحول... وشفاهي المطلية نكهات وأصباغ وعطور غالية...

متى سيأتي من يمنحني حبه وقبلته ؟ من المؤكد أنه سيأتي...

((أن يأتي متأخرًا خير من ألا يأتي أبدًا))

في أحد المساءات... لاحقتني خطواته أثناء سيري.

جلست على أحد المقاعد الخشبية التي تتسع لشخصين فأكثر ؛ فوقف بعيدًا يرمقني

واصلت سيري؛ فتتبعني

من المؤكد أنه أتى أخيرًا..

لم يتطفل..هكذا هم المحبون.

تباطأت خطواتي..

اقترب ناحيتي...

فجأة وجدتني على الأرض...وبعض المارة يتجهون نحوي "سلامتك"

تقدم أحدهم يعرض مساعدته، ويقدم لي زجاجة ماء قائلًا " معلش يا حاجة أبقي خدي بالك

شنطتك أهي....مسكناه "ابن الحرام"

عدتُ للبيت في وجوم... أمسك بحقيبتي بعد أن كادَ يسرقها الحبيب المنتظر.

نظرت لأقلام أحمر الشفاه المرصوصة بعناية.

تعدت العشرات...

جمعتها.....ألقيتها جميعًا في كيس النفايات.

فتحت دولاب أمي..

أخرجت منه إيشاربًا عتيقًا..ربطته...أخبئ تحته شعيرات بيضاء لم أنتبه إليها

لإبعاد ولاد الحرام عن.... الحاجة!

تاء ...وأخواتها

شق صراخها سكونًا يُخيم على مكان بعيد متى تغرب الشمس.

هناك...

حيث تأتي تاء التأثيث آخر الألفبائية.

قد تلفظها "واو الجماعة"..

فالإرث أثقل من أن تتحمله هي على نقطتيها الضعيفتين.

صرخت:

– لم تمسسني ممحاة.. لم يقربني حرف آخر..

– ما ذنبي إذ كانت الحروف الأخرى تلتصق بي!

نهروها:

– بدعوى العلم تسمحين لهم!

نراكِ أقمتِ "مهرجان القراءة للجميع"

لا نعرف إلا التصاقك بكل الحروف...

تتذيلينها..وتشيننا..

سمعنا عن احتضانك لأحدهم..

– هو قدري...تفرضه عليّ طبيعتي...الحياة تتسع لنا جميعًا.

– ترفضه نخوتنا..لا حياة لكِ بيننا.

******

بكت.. لطمت نقطتيها..

لم يقف بجوارها أحد..

صمت الملتصقون..

فرّ المنتفعون..

في تلك الأجواء...

لا تنتصر الأنثى لبنات جنسها..

بل قد تمتثل للأقوى..أو الأشرس.

برغم صداقتها للقابلة والتصاقها بها..

لم تستطع القابلة الوقوف بجانبها..

في تلك الظروف..

تصبح ...(قابل)

طأطأت رأسها حتى سقطت تاؤها..

******

قُضِيّ الأمر....

غُسل العار على مذبح الشرف..

علا نحيب مكتوم ممن شابهنها..وهدأت زفرات الانتقام من الآخرين.

خيم الدخان الأزرق على المكان آتيًا من عالم يقطن فيه حرف نذل غير آبه بما حدث.

عمّتْ الفرحة في منزل القابلة حين دخلت بورقة لحم على نقاطٍ وليدة تنتظر أن تكون أحرفًا متواطئة، أو على الأكثر ....صامتة

فائل سرعات

"بسرعة.. شدي حيلك..مش هنلحق"

كسائق يستحث صاحب سيارة ليفسح له الطريق...بينما الآخر لا يملك من أمر سيارته والطريق شيئًا.

كانت زميلتي في العمل هي من تستحثني على ملاحقتها ماشية..صوتها أشد من سارينة الإسعاف..عيناها ككشافات الضباب.

* انتقلت من الأول للثاني

أسرعت خطاي قدر المستطاع حتى عَلت أنفاسي وتلاحقتْ كموتور سيارة يحتاج "عمرة"..

لم تكف عن السخرية والتهكم

– "طبعاً أنتِ مش هتعرفي تمشى زينا...ما أنتِ واخدة على الراحة وركوب العربيات..إيه يعرفك بالمشي وتعب الرجلين"

لا أستقل سيارتي كثيرًا أثناء ذهابي لعملي، والتي يعدها رفقاء العمل نوعًا من الطبقية أو التعالي فأتركها ك"حمار جحا" درءًا لكثير من التعليقات السخيفة.

*****

وصلت قبلي بخطواتٍ..فعرفتُ أن المحل قد أغلق أبوابه، وهى تقف أمامه واضعة يديها حول خصرها..

تتقن لغة الجسد..لكنها لا تستغني عن لغة اللسان.

- "ارتحتي..اتبسطتي...كله من دلعك في المشي"

ابتسمتُ في وجهها ابتسامة خفيفة تُخفف من وطأة الموقف، وحِدة الكلمات..

- معلش دي أقصى سرعة عندي.
- انقلي للي بعدها.... قالتها بتهكم
- "ياريت..إمكانياتي كده بس...موديل قديم متهالك "

*****

حاولت كثيرا أن أضبط سرعتي حسب رغبة الزبون، ولم أفلح..

ولكن يبدو أن ناقل السرعات معطلٌ لدى...

عيبٌ أراه تافهًا جعل الكثيرات من زميلاتي يستخدمنّه في التهكم عليّ.. ويحشرنّه في أحاديثهن التافهة مثل سرعتهن في إنجاز الطعام أكثر من الموقد ذاته، وماراثون الغسيل، ومكوكية السوق.

فكل ذلك يتطلب امرأة خارقة موجودة في كل منهن تقوم بمهامٍ بطولية يرين أنني أعجز عنها..

بسبب خطواتي البطيئة، وسيارتي يعتقدن أنني امرأة لا تُحسن إلا الجلوس على المقعد الوثير لمشاهدة مسلسلات تركي لا أعرفها إلا من

خلال أحاديثهن..وتناول الطعام في السرير الذي ربما يأتيني بواسطة طاقم الخدم.

تنتهي غالبا أحاديثهن بالإشادة بنماذج تشبههن..وبنموذج يشبهني يذهب للعمل من أجل "المنظرة" و"البرستيج".

*****

انتهى يوم عمل ممل كسابقه..وبدأت رحلة الرجوع.

* انتقلت من سرعة الثاني للثالث

قبل عودتي إلى المنزل....مررتُ على البنك لدفع القسط الشهري..وعلى الصيدلية لصرف روشتة العلاج، أمهلني الصيدلي للغد؛ ليأتي لي بأحد الأدوية الناقصة من السوق.. مسرحية أعرفها حين ترفع شركات الأدوية أسعارها..

كما مررتُ على ذلك البقال العتيق فهو ما زال يبيع بضاعته بال"شكك" مرفقًا إياها بتكشيرة أتغاضى عنها.

******

* من الثالث للرابع

بالرغم من أن كل ظروفي تُجبرني على ألا أتعدى الأول.

يحتاج صعود الدرج لقوة دفع رباعية...حتى ولو كنت أقطن في الدور الثاني.

دخلت المنزل فوجدته يزُوم، وينادي بآهات مكتومة.

أسرعت إليه.. فوجدته يفترش الأرض في محاولة منه للنهوض...

حملته بصعوبة، فأشار لي باتجاه الحمام مستندًا عليّ جاهدا نقل قدميه في محاولة بائسة لبعض الحركة أشجعه عليها دومًا... فقد لا تنتهي بحملي له.

تستغرق رحلة المشي للحمام تقريبا 20 دقيقة..

كان عليّ أن أعود مرة أخرى للأول، ولربما لوضع "المور".

وأتمتم..

يااارب "زقة للنبي"..

نصف لعنة

ستفعلها مرة فقط.

تُجرب مرة واحدة فقط...

لن تلحظ جارتها فعلتها.

لن يراها أخوها...يمر الشهر دون أن تلمح وجهه.

لن ينهرها أبوها خادم المسجد.

لن تلعنها الملائكة.

ستتوب بعد تلك المرة..

زوجها في سفر طويل..

وهما يلهوان سويًا.

أغلقت باب حجرتها..أمسكت مرآة صغيرة وملقاط..وبدأت تزجج حاجبها الأيسر.

-لا... سأبدأ باليمين، ربما كان هذا أخف ذنبًا.

تستغفر مع كل شعرة تنزعها.

لطالما كان حاجباها مثار سخرية صديقاتها في المدرسة.

مرت أمام عينيها أحداث كثير أحست فيها بالقهر والوصاية حتى على ما تملكه.

ستمارس حقها مرة.

انتهت من حاجبها الأيمن...

رققته كثيرا.. لم تتنبه لذلك..

بدتْ عينها أجمل.

بينما تتجه بالملقاط للحاجب الأيسر، أوقفها طرقٌ عنيف على باب حجرتها!

خبأت مرآتها والملقاط..

– هل علم أحدهم بأمري؟

*****

كانت ابنتها تصرخ وتبكي، بينما ابنها على الأرض غائب عن الوعي، و تسيل الدماء من رأسه.

تعثر الطفل ووقع على حافة جردل الماء الذي ستمسح به الأرض.

جاءت جارتها على صوت صراخها.

أخبرتها بما حدث، وهي في حالة انهيار.

تسمرت جارتها، وسألتها باستنكار:

– أنتِ عملتِ حواجبك؟!

– ابني بيمووووووت...ده وقته؟؟؟؟؟؟؟

– قولي لنفسك!

وصلت سيارة الإسعاف بعد فترة.

نزف الطفل كثيرًا...حالته سيئة.

هكذا أخبرهم الطبيب في المستشفى..

حضر أخوها ومعه مبلغ التأمين..ربت عليها مواسيًا:

-لا تقلقي سيكون بخير إن شاء الله.. كل الأطفال يتعرضون ل....

توقف عن الكلام وهو ينظر لها شزرًا:

- الجزاء من جنس العمل.

تركها وانصرف.

*****

الطفل في غيبوبة..لابد من إجراء أشعة و....

- أنتِ عاملة حاجب واحد؟؟؟

- إشاعة ايه؟

- لم تتنبه الممرضة لسؤالها..كان نظرها مركزًا على حاجبها الأيمن.

كررت سؤالها:

- إشاعة لإيه؟

تتجاهل الممرضة سؤالها

- ليه واحد بس؟

تهاوت على مقعد في صالة الانتظار، وتربت عليها ابنتها الصغيرة..

- معلش ياماما.. ياريتك ما كنتي قفلتي الباب.

ازداد بكاؤها، وهى تتوسل إلي الله أن ينجي ابنها..

*****

لمحت الطبيب في أول الردهة.

أسرعت إليه..

– ابني فين دلوقت يا دكتور؟

تأملها متعجبًا

– مازال في العناية المركزة.. لم يفق...

حالته ليست مستقرة..ولكن ربنا موجود.

إذا سمحتِ...راجعي موظف الحسابات.

– أين؟

– الجانب الأيمن..

حاضر

– عفوًا...أقصد الطابق العلوي.

*****

طلب موظف الحسابات مبلغًا تحت الحساب، وأخذ يجمع لها الفاتورة، فينظر لها تارة ثم يعيد الجمع..

كرر ذلك أكثر من ثلاث مرات.

المبلغ كبير، ولم يكف مبلغ التأمين.

اتصلت بزوجها..سيدبر الأمر، ويرسل لها مبلغًا.

قام بدوره في التقريع واللوم رغم أنه لم ير حاجبها الأيمن.

*****

يومٌ ثان لم تغادر فيه مكانها..

جاء والداها ليطمئنا على الولد، وليشدا أزرها

بكت في حضن أمها..

– ربنا موجود يا بنتي.. هيجبرنا طالما مش بنغضبه.

زاد بكاؤها..

– لازم تحمدي.. بنتك ما ينفعش تشوفك كده هاخدها لغاية ما يخرج بالس...

– مال حاجبك؟ حساسية ؟؟

هزت رأسها نافية.

دققت النظر، واقتربت وخبطت على صدرها.

ليه يا بنتي تغضبيه ليه ؟ كويس كده اللي حصل لابنك ؟

والراجل مش هنا كمااان كنت قلت هو اللي طلب.

ربنا يسامحك..ربنا يسامحك.

سحبت حفيدتها من يدها..

– لو عاوزة حاجة ابقي اتصلي..ربنا يهديكي.

تسّمع أبوها حوارهما.

أشاح بوجهه، وانصرف يستغفر ويحوقل.. وخلفه زوجته.

****

مازال ابن "الست أم حاجب واحد" غائبًا عن الوعي مع دخول الأسبوع الثاني..ومازال حاجبها مثار لمز وتعجب.

يبثونها الأمل، وتنخزها نظراتهم.

تتوالى الحوالات.. مع كم التقريع من زوجها..
تذهب لبيتها ليلًا تبتهل وتستغفر، وتدعو الله أن ينجي ابنها، وتخرج في الصباح فتفتح جارتها الباب لتدعو لابنها من تحت الضرس.
تفكر لحظات أن تكمل حاجبها الأيسر.. لكي لا تكون مُلفتة بهذا الشكل.
ثم تتراجع عن فكرتها..
لا..لا..الحمد لله أنه الأيمن فقط..
كفى ما حدث

*****

أسندت رأسها للخلف، وهي تكاد تسقط من الإعياء.
كان التلفاز يبث نشرة أخبار سيئة عن أطفال قتلي، ونساء ثكلى.
أغمضت عينيها..لا تريد نذير شؤم.
صرخ الشيخ ممتقعًا وجهه في برنامج الفتاوى..
ملعوووووونة... مطرودة من رحمة الله..
أفزعها صوته...انتفضت من غفوتها..
فركت عينيها..
تحسست حاجبيها...
استشعرت اكتمالهما..
همت بالنهوض لتنظر في المرآة..

وجدتها بجانبها...

دققت في حاجبيها عن آثار نتفٍ قديم!

ركضت نحو غرفة ابنها..

أمسكت ملابسه الملقاة على فراشه الخاوي.

واحتضنتها طويلًا...

جثمان نملة

كثرت شقوق جدران بيتنا، ولكن ليس أكثر من شقوق روحي وتشققات قدمي.

أنتظر أن يرمم الليل جسدي، فلربما أشرق الصباح على روحي بشعاع يطببها

لم يضف ترتيب الأخيرة في أسرتي تلك المترادفات التي تضفي على الصغير ميزة،أو تمنحه بعض غنج لا نعرفه نحن الخمسة.

خدم القدر أخوتي إلى حد ما..

بعد تزويج إخوتي البنات؛ بدأ وحش مرض السكر ينهش جسد أبي، فضعف بصره، ثم أفقده قدمه بعدما أهمل العلاج المكلف، وأقعده عن العمل، وأقعد أخواتي عن زيارته إلا في حالة تشاجرهن مع أزواجهن.

هاجر أخي لغرفتيه فوق السطوح بعد زواجه، بعدما تشاركنا جميعًا في تكاليف الهجرة.

واختار الآخر رحيلًا كرحيل المرء للآخرة...

كلما ودّع بيتنا فردًا..زادتْ حيطانه شقًّا....وأيضًا روحي

أنام كجثمان مازالت الحياة تدب فيه..وأنتظر الليل أن يلملم أشلائي فيفشل؛ فألملم خيوط ذاكرتي لأنسج منها غدًا تحلم به كل فتاة، فأصحو على غدٍ كأمسِه.

كنتُ أضع ثلثي راتبي الأسبوعي في يد أمي..وأدّعي أنني أدخر الثلث الآخر لجهازي.

جزء من حلمي كنت أضعه في يد "مجدي" صديق أخي.
ثلاث سنوات نتقابل فيهم كل أسبوع نصف ساعة..أعطى له ثلث راتبي، ليقوم بمشروع لحياة ربما تكون أفضل مما أنا عليها.

****

زادت شقوق جدران بيتنا، وزادت معها شقوقنا جميعًا.
انهار سقف غرفة والدىّ؛ فانتقلا إلى غرفتي التي كانت غرفتي وأخوتي.
نداءات أبى طيلة الليل لتذهب به أمي إلى دورة المياه..وتأوهات أمي من الروماتيزم الذي ينخر في عظامها منعا خيالي الذي استدعيه ليكون وحيًا لحلمي..فكنت أصحو من نومي لأشكر كابوسي الذي علمني أن أتقبل هذا الواقع.
مرّ أسبوعان لم ألتقِه... لم أبحث عنه فقد كنت أحتاج ثلث الراتب لمصاريف علاج أبى..أما أمي فهى ترفض العلاج بحجة أنها لا تعانى شيئًا ولا تحب الأدوية حتى لو كان مسكنًا يكتم آلامها بدلا من أن تظل حبيسة أناتها.

******

اختفى "مجدي" في شقٍ!!
مادتْ بي الأرض وغبت عن الوعي..لم أعرف إلا بعد يومين أنني كنت محمومة..
كانت أمي تنظر لي نظرات ريبة وإشفاق
هل هذيت أثناء غيبوبتي؟!

سلمتُ أمري لله لقلة حيلتي... فتكتمتُ خزيي، وواصلتُ شقائي.
كنا ثلاثتنا نفترش الأرض، ويشاركنا الألم.
كسر نفسي كان أشد ألما من بتر ساق، أبى وأنين أمي.
تتسع شقوق الحائط..تفسح مكاناً لكائنات أخرى تسكنه ضاقتْ بها الأرض رحبًا.
صفوف النمل تتجه إلى شقوقها..تخلّفت واحدة.
دهستها بسبابتي.. لم تمت
تأملتها وهى تتلوى..ترقص رقصة الموت..يصيب رقصها منى شيئًا.
يلتف حولها جموع من النمل يحملونها ويسيرون ربما لإسعافها.
صرت كل يوم أسرى عن نفسي بمشاهدة صفوف النمل،وهى تغدو وتروح
قد أجهز عليها فأتركها جثة..أو أشاهدها وهى تتلوى.
هل تتألم مثلى،أم مثل أبى، أو مثل أمي التي تكتم أنينها وتتلوى في فراشها؟
لكن الفرق أن هناك من يسعفها..يحملها..يطببها..أو حتى يلتفت إليها.
ثلاث جثث في حجرة لا يتلفت إليهم أحد....ليتهم يحملونني إلى شقٍ اختفى فيه..

******

صحوتً فزعة على صراخ أمي..لأول مرة يرتفع صوت ألمها.

مات أبى.....

حتى رحلة الموت تتطلبُ مالًا!

لم يلتف أحد حول أبى ....حمله أخي وصاحبه فقط...

لم يجدا شقًا ليُدفن فيه.

ظل جثمانه يبحث عما يواريه..

كاد يتحلل..

ليلًا.....

خرجت جموع النمل تحمل ذراعًا...وأخرى تحمل قدمًا...وبعض الجموع تحمل رأسه...وظلت يده محشورة في شقٍ ضيق.

كنت بين غفوة وصحوة..

في الصباح..

لم أجد أبي..ولا كفه!

بينما كانت رائحته تنبعث من بين الشقوق..

الموت من أجل الحياة

لملمت أشلاء آدميتها مع ملابسها..

مسحت آثار كرامة مع لعابٍ كريه يبلل جسدًا انتهك ما تبقى منه اليوم،

كان يقتاته يومًا بعد آخر بنظراته..

دّست داخل ملابسها النقود، ثم أخرجتها مرة أخرى مخافة أن يُدّنسها ذاك الجسد واضعة إياها في كيس نقود بجانب آية الكرسي ربما منحتها بركة، أو غسلتها من درنٍ

*****

أطفأت أنوار المحل بعد أن سبقها كالعادة، وكانت هذه المرة تختلف...

تثاقلت خطواتها نحو الباب؛ لتغلقه خلفها كما غُلقت أمامها أبواب المقرضين والمرابين.

خُيل لها أن العالم كله ينظر إليها كعاهرة خرجت لتوها من شقة مشبوهة دون أن يلفوها بملاءة..

تحدث نفسها: لا تنظروا إليّ هكذا...

فجميعكم تشترون من أجل الحياة...

فقط.... أنا من أبيع من أجل حياة آخرين

****

قضت ليلتها تسكب الماء على جسدها، وتحكه بقطعة من الحجر...فتسير إلى البالوعة خطوط الدماء مختلطة مع شلالات الماء

أتدنس دماؤها الماء، أم سيطهرها هو؟

بكت مثلما لم تبك حتى في ذاك اليوم الذي هُرعت بابنها اليتيم إلى المستشفى؛ حيث لم تنفع مع زرقة وجهه كوب ماء مُحّلى بالسكر مقروء عليه

******

لم يمهلها الطبيب إلا يومين لإجراء تلك الجراحة العاجلة متنازلًا عن أتعابه..

سلّمت النقود في خزانة المستشفى...

واستلمت جسد ابنها بعد أيام حين دبّت فيه الحياة،

وخرجت من جسدها الحياة..... وأشياء أخرى.

ورقة زرقاء

أشيح بوجهي حين تقابلني صفحة النهر...أنكس رأسي إذ تُذكرني زرقة السماء.

ورقة حادة...كمُدية تجرحني..

تشبه ليلًا إرجواني يقض مضجعي.

كلما اقتربتُ من أوراقه...خشيتُ نصلها.

كانت قصائده تُسري عني، إذ أرتوي منها حبًا بعدما جف نهرنا.

لكنها لم تكن لي!

سألته ذات مرة..

– أين ورقتي في قصائدك؟

ابتسم في تحفظ..

– أنت ورقة بيضاء..طاهرة.

– لمَ لا تضع عليها ألوانك..لا أحب أن أكون ورقة بيضاء.

– إذًا.....ورقة زرقاء بنقاء السماء.

نعم..زرقاء صافية.

حدثتث نفسي..

من بيضاء لزرقاء يا قلبي لا تحزن!

وتساءلت: هل أنا لا أستحق حبره؟ أم حبه؟

استمر في تلوين أوراقه..

عيناهن بلون..وشعورهن بلون..وشفاهن بلون.

وظللتُ أنا بلونٍ واحد!

*****

خرجت بورقة... وعدت بورقة.. ورقة أنا الأخرى.....زرقاء

حملتُ إلي منزلنا أوراقًا بالية..ودفاتر لم يخطها قلمه..ولوحة بلون واحد.

جُرحي كجرح طائر تحت ريشه..مخفي ألمه..أعجم لا يستطيع الكلام.

كان لابد من الخروج من دائرة ستزداد ضيقًا حتى تعتصرني إن لم أرحل عنها..

حملت أوراقي لمدرسة قريبة، حتى لا أجد وقتًا لقراءة أوراقي القديمة.

******

– زرقاء؟ هل تكسب أوراقك وأشخاصك ألوان؟؟ أنا زرقاء..وأخرى حمراء؟

– لاا..الورقة الحمراء ورقة عاهرة..لا أرضى لك ذلك..

الزرقاء لها قدسية السماء...نقاء النيل...رهبة البحر.

كفى أن أتأملها دون أكتب عليها.

– أتكرهين ذلك؟؟

وتابع قراءته..

همستُ لنفسي..

نعم أكره...كنت أتوق أن تنتهك ورقتي بقلمك.

عدت من شرودي..

تابعتً تصحيح أوراقي، وحاولت مسح أحباره الزائفة من ذاكرتي.

****

بالرغم من أنه كان هادئ الطباع، ويحظى باحترام الجميع إلا أن تجربتي مع الشعراء والأوراق جعلتني أتوجس منه خيفة، حتى أسمعني بعض شعره.

لم أثن عليه..ولم أعلق نهائيًا.

إن الشعراء يقولون مالا يفعلون، يكتبون مالا يشعرون، وفى النهاية يرون من هم مثلي "ورقة " يطوونها ويكتبون على أوراق أخري.

كثير التردد على حجرتنا لصداقته بمدرسي مادتي.

وتطورت العلاقة، فعلمت أنه يحمل ورقة وفاة لزوجته.

حين حدث التقارب...أصبحت أتجنب اللقاء..

لن أكرر تجربة مع شاعر أو أديب لأصبح ورقة زرقاء، ثم ممزقة في حياته.

****

شعر بجفاء بعد الوصال..وكعهد الشعراء استدعى رسولًا.

كانت كلمات رقيقة يصف بها حبيبته كملاك طاهر.

– ابتسمتُ في مجاملة له..جميلة جدًا.

- إنها لكِ
- لي هذه الكلمات!!!
- نعم ولكِ مشاعر أكثر لا تفي بها الكلمات
- ولكنني ورقة زرقاء..

تعجب من الكلمة

فاستطردتُ

- صفحة لا تصلح للكتابة عليها.

أجابني:

- بل هي كصفحة البحر حين يكتب عليها الموج.

وكصفحة السماء حين تخط عليها السحب.

أنتِ بصفاء السماء..وروعة البحر..ورقة النهر.

****

استمالني مرة أخرى بعذوبته وكلماته.

استعدت بعض ثقتي..ولملمتُ أوراقي الممزقة..

اقتربنا..وبدأت أملأ دفاتري الخاوية..ويصبح لي قصائد خاصة لأول مرة..

انتشيتُ زهوًا بألواني في قصائده.

وانتظرتُ أن أكون لونًا في حياته.

فجأة... وجدته يحمل أوراقه للسفر.
ويطلب مني انتظاره في أول إجازة صيف.
انتظرت صيفًا واثنين وثلاثة...
حتى أسقطتني برودة الخريف كورقةٍ يابسة.....
ورقة عذراء كنتُ... لم يضاجعها قلم...ولم تنجب كلمات.

عُلبة ثِقاب

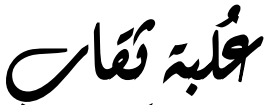

بين الصحوةِ والغفوةِ كنتُ..

لولا معرفتي اللصيقة به ما استطعتُ تمييز وجهه الضبابي.

كل شيء حولي كان مُشوشًا..مُغيمًا..مُغبشًا.

لم أستطع تمييز المكان، فقد سرقتني منه تلًك الآلام التي أشعر بها.

كان خشنًا...وشعيراته حادة صلبة.

ذاك الشاربُ الكث الذي يزهو به.. يقطع به جسدي..وكأنه يمر بسكين على ذبيحته.

رحتُ في شبه غيبوبة.... لم أشعر ماذا حدث خلالها إلا بعدما أفقت... واختفى صاحب السكين أو الشارب..ومعه أشياء أخرى لم أستطع أن أجعلها في مكمنٍ ومأمن منه.

بكيتها.....ولكنني بكيت خديعته أكثر.

انزويتُ أيامًا وأسابيع..مرت متثاقلة وأنا وحيدة، ولم أبرأ فيها.

عدتُ لجامعتي، جمعتً شعري الأسود الطويل خلف ظهري.

أتجنب الجميع...أتهرب من الأصدقاء..وانظر بازدراء لأصحاب الشوارب.

"شرف البنت زى عود الكبريت"

تشبيه غبي يجعل البنت علبة ثقاب تحترق كلها،وتصبح بلا قيمة ولا شرف إذا ما اشتعل أحد الأعواد، أو بالأحرى أُشعِل.

******

مرتْ فترة حتى استعدت فيها توازني، وبعض أصدقائي،وأدخلت حياتي آخرين حرصتُ أن يكون بينهم أصحاب مال وجاه وذوى شوارب يعتزون بها كعود الثقاب الذي قد يرون فيه رجولتهم أو شرفهم.

في حوار مع أحدهم وكان وسيمًا، وربما ظهر شاربه فوق شفتيه كخط من القش ؛ لكنه كان يعتبره خطًا فاصلًا لرجولته.

قالها لي:

"شنب الراجل عنوان رجولته وربما كان شرفه"

رأيته متخلفًا...

وربما كان ضعيفًا ؛ فاختزل كل معاني الرجولة في بضعة شعيرات تحت أنفه

حسنًا لتكن هي شرفكم ورجولتكم...

*****

أعرف من عين الرجل نسبة إعجابه بي.. أغلب الرجال يعجبون بالشكل التقليدي للجمال..

شعر طويل ناعم، وقوام ملفوف، وبشرة بيضاء.. كانت كلها تجتمع في

نظراته كانت تحدق بشعري الطويل الأسود..تعارفنا وركبت معه سيارته الجيب للنزهة تحسستُ حقيبتي... واطمأننتُ لعتادها

في مكانٍ هادئ انسدلتْ يده على شعري متغزلاً فيه وفي..ولم ينس أن يربت كل دقيقة على شاربه وكأنه يطمئن رجولته...

بعد حديث الإعجاب المتبادل.

أخرجت من حقيبتي علبتين من البيرة.. أعرف التي تخصني فيهما.

راح في سبات بعد رشفاتٍ قليلة..

أخرجت "الشفرة"،

وبحذر..... حلقتُ نصف شاربه.

أشعلتُ أعواد ثقابهم مرات ومرات..

في سيارة... في مكتب مغلق... لا مانع أن يكون على فِراش..

*****

وكان هو.....ذو شاربٍ كث مميز يتماشى مع جبهةٍ عريضة.. وجسد ضخم..وبشرة سمراء جنوبية..وكأنني رأيته من قبل!!

ربما تشابه عليّ شاربه..أو مرّتْ على ذاكرتي ملامحه.

المهم أن نظراته كانت تُعّبر عن انبهاره بي...ثم بالغ في محاولات التقرب مني، وإغوائي بكافة الطرق...لاضير

أغراني اعتزازه المفرط بذكوريته..وأغراه جمالي أو شعري الذي كان يُثني عليه مرارًا، ويشرد مرةً..

ذهبت معه لزيارة والدته في أحد المنتجعات السياحية، لم أهتم لنخزات الشك في حجة زيارة الوالدة، فأنا من يقرر النهاية، أخبرني

أنه شاليه العائلة ولم أجد هناك أحدًا من العائلة، فابتسمت بخبث في داخلي وأنا أتمتم "هكذا أفضل"

أجّلت إخراج علبتي البيرة..حتى أستمتع بمنظره النهائي بعد استماعي له فكنتُ ازدادُ انتشاءً لزهوه وأنا اعلم ما سيؤول له ذلك الاستعلاء الذكوري، وقد انطبع على ملامحه وغروره و.....شاربه

تحسس شعري في إعجابٍ وطمع ..اقترب مني أكثر....لا بأس من لمسات لن تنال منى في سبيل نصف شارب ينال منه كثيرًا.

******

غفوتُ وسط حديثه، ولم أدرك متى استيقظت!

لم يكن بجواري إلا علبة بيرة فارغة.

شعرتُ برأسي ثقيلة، وكأنها اشتعلت بثقاب العالم.

تحسستُ ملابسي فاطمأننت لوجودها كاملة... أمسكتُ رأسي وأنا أنهض متثاقلة نحو المرآة؛ لأجدني حليقة الرأس... وشعري كله متناثر على الفراش.

اختفى صاحب الشارب، ومعه علبة ثقابه وترك لي خصلات شعري و"مقص"

وضعتهما في حقيبتي بجوار "الشفرة" .....وعلبتيّ البيرة.

الكاتبة في سطور

مواليد الإسكندرية

ليسانس آداب قسم اللغة العربية وآدابه

دراسات عليا في التربية

دبلوم الصحافة الإذاعية

دبلوم الإخراج الصحفي

دبلوم البرمجة اللغوية العصبية

ممارس معتمد في البرمجة اللغوية العصبية

عضو نقابة الصحفيين الإلكترونيين

عضو الاتحاد العربي للصحافة الإلكترونية

عضو مجلس إدارة نادي الأدب بالإسكندرية

عملت محرر صحفي بأحد المواقع الإخبارية الإلكترونية

كاتبة ببعض المواقع والصحف العربية والخليجية

سيناريست إنفوجرافيك بشركة دعاية وإعلان

مشرفة موقع الرابطة للقصة القصيرة جدا في مصر

مسئولة ورشة القصة القصيرة جدا بمركز "أركان للإبداع" في مشروع تعليم فنون الكتابة بالكاتدرائية

شاركت في كتاب للقصة القصيرة جدا أصدرته مكتبة الإسكندرية على مستوى الوطن العربي

شاركت في أول انطولوجيا تصدرها الرابطة العربية للقصة القصيرة جدا

حصلت على جوائز محلية وعربية في القصة القصيرة

صدر لها

هموم وطن... زالت ومازالت" مقالات"

"بين الأمس..واليوم..والغد" نصوص أدبية وخواطر

إشارة مرور" مجموعة قصصية قصيرة جدا"

لها تحت الطبع:

سيد الرجال "مجموعة قصصية"

"الماشطة "رواية

"إطلالة" مقالات ساخرة

للتواصل مع الكاتبة

mob: 01141037346

Reemelmasry2000@yahoo.com

الفهرس

الإهداء----------ص3

تقديم----------ص5

1. تحت الصفر----------ص9

2. كامل الأوصاف----------ص14

3. سلحفتان----------ص19

4. مطلوب شراء بضع سنوات----------ص25

5. ذاكرة سيئة السمعة----------ص33

6. الرجل ذو الأزرار----------ص40

7. ودارت الأيام----------ص46

8كرسي هزاز----------ص50

9.صراع----------ص55

10شهد الفقراء----------ص59

11شفاه ملونة----------ص66

12تاء... وأخواتها----------ص73
13ناقل سرعات----------ص76
14نصف لعنة----------ص81
15جثمان نملة----------ص88
16الموت من أجل الحياة----------ص93
17ورقة زرقاء----------ص96
18علبة ثقاب----------ص101